(الفصل الأول)

عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية

ويشتمل على:

- الاستقرار الداخلي.
- تشجيع ورعاية العلم والعلماء.
- التراث الثقافي.
- الرغبة في تقلد المناصب العليا.
- الاهتمام بالشئون الخارجية.

obeikandl.com

عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية

أصبحت القسطنطينية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين الثالث والرابع الهجريين سيدة الثقافة الأوروبية، وتميز مجتمعها بازدهار العلم والثقافة والحضارة بالقياس إلى غيره بأي مدينة من مدن الغرب[٩٧]، وقد تفاخر أباطرة العصر المقدوني بتحقيق عدد من الإنجازات العسكرية والحضارية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين[٩٨]، واتسعت الحضارة في هذا العصر[٩٩].

وكانت هذه الفترة مثالاً واضحاً لخصائص المعرفة البيزنطية والتي تمثلت في اتحاد العناصر اللاهوتية العلمانية. أو الجمع بين العلوم الدينية والدنيوية في سبيل الوصول إلى معرفة موسوعية وشاملة[١٠٠].

وترجع نهضة بيزنطة الفكرية والثقافية في عصر الأسرة المقدونية إلى عدة عوامل منها:

أولاً: الاستقرار الداخلي:

ساعدت سياسة الإمبراطورية وتنظيماتها الداخلية على تدعيم قوتها، وتقدم حضارتها وامتداد نفوذها وكان العصر المقدوني أكثر القرون حيوية وازدهارا في التاريخ الطويل للإمبراطورية، وذلك بسبب القوة العسكرية البيزنطية والازدهار الثقافي وكذلك الاستقرار الداخلي لهذه الأسرة، حيث عمل أباطرتها على القبض بيد قوية على زمام الأمور، وإقامة حكومة أوتوقراطية (استبدادية) وضربوا على أيدي المتمردين ومثيري الشغب، ولم يسمحوا لأي حركات انفصالية بأن تهدد سلطتهم المركزية[١٠١].

---

(97) Meyendorff, J., The Byzantine Legacy in the orthodox church, U.S.A 2ed, 2001, P.76.
Lemerle, Le Government des philosophies p.244.

هـ.أ.ل. فشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠م، ج١، ص١٧٢.

(98) Jackson, J. Western Civilization, Vol I P.234.

(99) Nicholas, J. Byzantine Philosophy, Hackett, USA, 2003, P.77.

(100) Vasiliev, History of the Byzantine, Vol I, P361.
Browning, The Byzantine Empire, p95.

عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٩٧م ص١٢٤.

من الواضح أن الشعب البيزنطي كان يلائمه في هذه الفترة هذا النوع من الحكم، وخاصة بعد الاضطرابات التي حدثت بسبب الحركة اللايقونية (الباحثة).

(101) Browing, The Byzantine Empire, P. 95.

عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٩٧م، ص١٢٤.

والحقيقة أن البلاط الإمبراطوري كان مسرحا للمؤامرات والدسائس التي تمكن أباطرة الأسرة من إحباطها والقضاء عليها، فخلال حكم الإمبراطور ليو السادس قام اندرونيكوس دوقاس Andronicus Ducas بثورة ضد الإمبراطور الذي حاول إلقاء القبض عليه، ولكن أندرونيكوس تمكن من الهرب ومات في بغداد .وفي عهده أيضا حاول ساموناس samonas العربي الأصل الذي عمل خادما في منزل احد الأثرياء المدعو ستليانوس زاويتزيس والد الإمبراطورة زوي Zoe زوجة ليو السادس، فبعد موت زاويتزيس أظهر ساموناس تبعيته للإمبراطور ليو السادس فكافأه ليو وأعطاه ثلث تركة زاويتزيس، ثم ترقيته حتى أصبح الرجل الثاني بعد الإمبراطور، واستمر عمله في بلاط الإمبراطور ليو السادس فترة تجاوزت ثماني سنوات حمل خلالها عدة ألقاب كان أهمها لقب الباراكويميومنيوس "كبير أمناء القصر" عام ٩٠٦م/٢٩٤هـ(١٠٢).

وقد أخذ الإذن من الإمبراطور بزيارة بلاده؛ ولكنه خان ثقة الإمبراطور، فأرسل الأخير في طلبه، وأعيد إلى القسطنطينية، ومثل أمام مجلس الشيوخ للتحقيق معه، واحتجز في بيت برداس لمدة أربعة أشهر، ولكن لحب الإمبراطور له قربه إليه مرة أخرى، ولكنه لم يحفظ الجميل وهجاه بقصيدة الأمر الذي جعل الإمبراطور يصادر أمواله، ويأمر بحبسه في أحد الأديرة(١٠٣).

وظهرت حركات التمرد في عهد قسطنطين السابع Constantine VII ٩٤٥- ٩٥٩/ ٣٣٤- ٣٤٨هـ الذي تمكن من إحباط مؤامرة قام بها حنا كوركواس John Curcuas واكتفى الامبراطور بسمل عينه بعدما طلب منه الرحمة ثم أمر بتعذيب شركائه(١٠٤).

وشهد بلاط الإمبراطور باسل الثاني Basil II بعضا من المؤامرات تمثلت في التمرد الذي قام به برداس سيكلروس Bardas Sclerus صهر الإمبراطور السابق يوحنا تزيمسكس John Tizmisces ٩٦٩-

---

ومن الواضح أن الشعب البيزنطي كان يلائمه في هذه الفترة هذا النوع من الحكم وخاصة بعد الاضطرابات التي حدثت بسبب الحركة اللاأيقونية [الباحثة].

(١٠٢) محمد زايد، طبقة العامة في الإمبراطورية البيزنطية خلال العصر البيزنطي الأوسط من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب، جامعة الفيوم، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص ٧٠.

(103) Tougher, The Reign of Leo V1, PP.208-210.

عن قصة ساموناس انظر:

Guilland, R. Titres et fonction Le Empire Byzantine, London, 1976, PP.310 ff

(104) Guilland, Titres et Fonctions., PP.300-301.

حنا كوراكوس: قائد أرميني الأصل خاض معارك كثيرة ضد المسلمين في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع، ونجح في الاستيلاء على أرضروم منهم وأجبر حكام ملطية وديار بكر وميافارقين على دفع اتاوة للبيزنطيين، عن ذلك انظر:

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، ١٩٩٧م، ج١، ص٥٩ وما بعدها.

٩٧٦م/٣٥٩-٣٦٦هـ الذي وعده بالعرش وهو على فراش الموت[١٠٥] ذلك الصراع الذي وجد فيه المؤلف يوحنا سيكلتزس مادة خصبة للكتابة والتأليف، حيث تناول في كتابة "مجمل التواريخ" ذلك الصراع[١٠٦] كما فشل التمرد الذي قام به نقفور برداس Nikephoros Bardas الذي توج إمبراطور في كبادوكيا، فقد اغتيل وفشل تمرده[١٠٧] وتعرض قسطنطين مونوماخوس Constantine monomachos للنفي لأحد الأديرة في عهد الإمبراطور ميخائيل الرابع Micael IV ١٠٣٤-١٠٤١/٤٣٣-٤٢٦هـ، الذي اتهمه بالتقرب من الشعب وتشجيعهم للثورة ضدة وبقي قنسطنطين في منفاه سبع سنوات، وهي الفترة التي قضاها ميخائيل الرابع في الحكم[١٠٨].

ولطبيعة الحكم الإمبراطوري القائم على مبدأ الوراثة آلت مقاليد الأمور في بعض الأحيان لصبية صغار السن، مما أدى إلى حدوث مشكلة سياسية أخرى كان من الممكن أن تعرض العرش للخطر. ولكن تم

(105) Psellus, Chronographia, P.29. n.I

يوحنا تزيمسكس: أرميني الأصل كان قائد في الجيش في عهد الإمبراطور نقفور فوقاس ولكنه تآمر مع زوجة الإمبراطور وشاركها في اغتيال تقفور ووصل إلى العرش عام ٩٦٩م/٣٥٩هـ.

See Leo the Deacon, History, P.177.
Rosser, Historical dictionary, PP.214-215.

(١٠٦) محمد زايد عبد الله، العلاقات البيزنطية- الألمانية، ٩٦٢-١٠٥٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٦، ص٣.

عن الكتاب انظر:

Skylitzes, Excerpta breviario History, PP.641-744.

وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية عام ٢٠٠٣م، تحت عنوان أباطرة القسطنطينية.

Skylitzes, Empereurs de constantiaple, .

(107) Leo the Deacon, History, P.10.
Psellus, Chronographia, PP.32-48

للمزيد عن ذلك انظر: السيد الباز العربي، الدولة البيزنطية، ص٥٧٠-٥٧٣.

(108) Psellus, Chronographia, PP.163-164.

إن ما ذكرناه من الثورات والمؤامرات لم تكن الوحيدة التي حدثت في العصر المقدوني ولكن ما ذكر هنا هو نماذج حاولت الباحثة من خلالها توضيح قدرة الأباطرة البيزنطيين على تحقيق الاستقرار الداخلي وتهيئة المناخ للازدهار الثقافي (الباحثة).

ميخائيل الرابع البافلاجوني ١٠٣٤-١٠٤١م: تمكن من الوصول للعرش بمساعدة أخيه يوحنا John وعشيقته زوي Zoe اللذين تأمرا على قتل رومانوس الثالث Romans III ظل في الحكم حتى عام١٠٤١م، ولكنه ضعف عن القيام بشئون الإمبراطورية لإصابته بداء الصرع، فقرر الدخول للدير، وترك مقاليد الحكم لابن أخيه الذي اعتلى العرش تحت اسم ميخائيل الخامس ١٠٤١-١٠٤٢م.

See Skylitzes, Asynopsis, P.383.
Rosser, Historical dictionary, P.272.

التغلب على هذه المشكلة بتولية قادة أقوياء العرش كأوصياء على الأباطرة الصغار حتى يصلوا للسن القانونية التي تمكنهم من تولي العرش(١٠٩).

ظهرت هذه المشكلة بعد وفاة الإمبراطور ليو السادس، حيث تولى العرش ابنه قسطنطين السابع الذي كان في السابعة من عمره عندما توفى والده فتولى الوصاية عليه عمه الكسندر ووالدته زوي Zoe ثم رومانوس ليكابينوس Romanos Lekapenos٩٢٠-٩٤٤م/ ٣٠٨-٣٣٣هـ الذي كان يعلم أنه مغتصب للعرش والإمبراطور الشرعي لا يزال موجود في القصر، لذا كان عليه أن يتصرف تصرفا مقبولا كي يضمن بقاءه على العرش ويدعم مركزه داخل القصر فبادر بتزويج الإمبراطور قسطنطين السابع في مايو ٩١٩م/٣٠٧هـ، من ابنته هلينا Helena وفي الرابع والعشرين من سبتمبر عام ٩٢٠م/٣٠٨هـ، رفعه الإمبراطور قسطنطين إلى مرتبة قيصر Caesar وفي السابع عشر من ديسمبر من العام نفسه أصبح إمبراطورا مشاركا Co-Emperor ثم تزوج من الإمبراطوره زوي Zoe بعد وفاة زوجته ثيودورا Theodra عام ٩٢٢م/٣١٠هـ، وبذلك أصبح رومانوس جزء من الأسرة الحاكمة، وظل الأمر في يده حتى آلت مقاليد الحكم في النهاية إلى قسطنطين السابع وتولى العرش منفردا عام ٩٤٤-٣٣٣هـ(١١٠).

وظلت هذه المشكلة كامنة لتظهر مرة أخري في عهد الإمبراطور باسل الثاني وشقيقه قسطنطين الثامن Constantine VIII١٠٢٥-١٠٢٨م/٤١٦-٤١٩هـ الذين كانا تحت وصاية والدتهما ثيوفانو Theophano ويوحنا تزيمسكس حتى تمكن باسل الثاني من اعتلاء العرش بعد وفاة تزيمسكس عام ٩٧٦م/ ٣٦٦هـ(١١١).

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الأوصياء لم ينكروا الإمبراطور وبرروا بعض مواقفهم بأن هدفهم

---

(109) Leo the Deacon, History, P.I.

(١١٠) قسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص١١، ص١٤.

Jenkins, The Date of Constantine VII, P.135.

للمزيد انظر:

Theophanes, Constantus, P.402.

Nicholas I Patriach of Constantinople, letters, P.18.

(111) Psellus, Chronographia, P.27, n.2.

قسطنطين الثامن: أخو وسلف باسل الثاني حكم لمدة ثلاث أعوام بعد وفاة باسل من عام ١٠٢٥م- ٤١٦هـ، حتى عام ١٠٢٨م/ ٤١٩هـ، كان منغمسا في اللهو والترف وترك العرش من بعده لبناته زوي وثيودورا لعدم إنجابه وريث ذكر.

Rosser, Historical dictionary, P.94.

حماية الأسرة المقدونية[١١٢]، وإن كانت نوايا هؤلاء الأوصياء خلاف ذلك إلا أنهم نجحوا في الاحتفاظ بالعرش في البيت المقدوني.

وبعد ما تمكن الأباطرة من تهدئة الوضع داخل الإمبراطورية، وإظهار البطش والقوة تجاه الطامعين في العرش، اتجهوا لتنظيم الشئون الداخلية (الإدارية– الاقتصادية– الدينية).

الشئون الإدارية:

يشكل العصر المقدوني مرحلة جديدة في التطور الإداري والبيروقراطي في الإمبراطورية البيزنطية، حيث أنجز أباطرة الأسرة المقدونية بعض الأفكار التي أصلحت الإدارة البيزنطية[١١٣]، وسيطر على الجهاز الإداري مجموعة من الارستقراطيين المتعلمين وذوي الكفاءة من أبناء القسطنطينية وغيرها[١١٤]، الذين سجلت أسماؤهم ووظائفهم في السجلات والقوائم ومن ذلك:

سجل فيلوثيوس Philotheos الذي جمعه في عهد ليو السادس عام ٨٩٩م، ويعتبر المصدر الأكثر أهمية لمنظمة المدنيين الإمبراطوريين، وهو عبارة عن قائمة طويلة تبحث في أحقية الأسبقية في وظائف القصر الإمبراطوري، ورتب فيه جميع موظفي الدولة حسب مكانتهم ووظائفهم في الإمبراطورية البيزنطية مع بيان الألقاب والدرجات التي كانوا يحملونها ويعتبر بمثابة إحصاء عام لكل الوظائف المدنية والعسكرية في الإمبراطورية البيزنطية في نهاية القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري[١١٥].

ومع بداية القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، تم تقسيم الولايات الكبرى إلى ولايات أصغر حجما وأسندت القيادة بها إلى حاكمها[١١٦].

ومن ناحية التنظيم الحربي، هناك فرق واضح بين قوات الثغور في الأقاليم Themata وبين القوات (الكتائب) Tagmata المرابطة في القسطنطينية، فعلى رأس قوات الثغور قادة معروفون باسم استراتيجوس Strategi، بينما يتولى أمر القوات المرابطة في العاصمة قادة اشتهر كل منهم باسم Damesticus

(112) Tougher, The Reign of Leo V1, P.23.
(113) George, History of the Byzantine Empire, P.220.
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٤٩.
(114) Jackson, Western Civilization, P.234.
(115) Bury, J.B. The Imperial Administrative System in the ninth Century, London, 1911, PP.8-9.
طارق منصور الطنطاوي، *الجيش في الإمبراطورية البيزنطية*، ص٤، ص٥.
(١١٦) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٠.

(دمستق) ويتولى قائد الثغر أمر قوة يتراوح عددها بحسب أهميتها من عشرة آلاف إلى أربعة آلاف جندي، أما القوات المرابطة في العاصمة وضواحيها فمعظمها من الفرسان(١١٧).

أما المناطق العسكرية الأقل أهمية أصبحت ثيمات مستقلة(١١٨).

واتسمت الإدارة البيزنطية في هذه المرحلة بتفوق الوظائف العسكرية وازدياد عددها، وما كان لقادة الثغور من مكانة ممتازة على أن التفرقة لم تكن حادة بين طبقات الموظفين وترتب على ذلك أنه يجوز أن يتولى القيادة العسكرية أحد المدنيين، أو أحد رجال البلاط وكل ذلك يتوقف على رغبة الإمبراطور وما يطرحه من الثقة في هؤلاء الموظفين(١١٩).

الشئون الاقتصادية:

يعتبر الاقتصاد من أهم الركائز التي تؤدي إلى الرخاء والاستقرار الداخلي، لذا ركز أباطرة العصر المقدوني على الإصلاح الاقتصادي وسنوا القوانين من أجل تنظيم الحياة الاقتصادية.

فشرعوا القوانين الخاصة بالملكية الزراعية لمواجهة حالة الاضطراب التي سادت أقاليم الإمبراطورية(١٢٠)، بسبب المشاكل المفرطة الناجمة عن الملكيات الكبيرة الضارة بصغار الملاك من طائفة الفلاحين الأحرار التي أصبحت طبقة فقيرة، بسبب الضرائب الباهظة التي ألزموا بها ورفعوها للسادة الأقوياء أصحاب الملكيات الكبيرة مقابل الحماية والمحافظة على حريتهم واستقلالهم(١٢١).

ويرى بعض المؤرخين أن هناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض طبقة صغار المزارعين الضعفاء لجشع كبار الملاك الأقوياء منها: التوسع البيزنطي في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري والاتجاه نحو الشرق، والمجاعة التي أصابت الدولة البيزنطية عام ٩٢٧م-٩٢٨م/٣١٥-٣١٦هـ بسبب الشتاء القارس الذي أدى إلى حدوث مجاعة وارتفاع نسبة الوفيات واضطرار الفقراء إلى بيع أراضيهم للأغنياء كما كان لبعض التشريعات التي أصدرها الإمبراطور ليو السادس، والتي كانت من أجل حماية الملكية الزراعية

---

(١١٧) العريني، الدولة البيزنطية، ط١٩٦٠م، ٣١٩.

(118) Oikonomides, Constantine V11 et Les Themes de cepholanie, PP.119-123.

(١١٩) العريني، الدولة البيزنطية، ط١٩٦٠، ص٣٢٠.

(١٢٠) وسام عبد العزيز، قوانين الملكية الزراعية في الإمبراطورية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الثاني، ١٩٨٣م، ص٣٠١- ص٣٤٣، ص٣٠١.

(121) Vasiliev, History of Byzantine Empire Vol, I, P.345.

لمجتمعات صغار المزارعين الأحرار إلا أنها أفادت بدون قصد كبار الملاك، مما أدى إلى الصراع بين طبقتي الأغنياء والفلاحين والفقراء، وعندما اشتد الصراع بينهما تدخل الأباطرة لفك الاشتباك بين الطرفين(١٢٢)، واضطرت الحكومة المركزية لإصدار تشريعات استهدفت حماية صغار المزارعين الأحرار وملكياتهم من جشع كبار الملاك والهيئات المدنية، فصدرت العديد من الوثائق التي تناولت هذه المشكلة، ومن هذه الوثائق ثلاثة عشرة وثيقة أصدرها الأباطرة(١٢٣).

وقد ابتدأ الإمبراطور رومانوس ليكابينوس التشريعات التي تناولت الملكية الزراعية في القرن العاشر الميلادي بإصدار قانون نص على ثلاث نقاط: حق الشفقة لصغار المزارعين في حالة بيع أراضي صغار مزارعين آخرين، منع التصرف في الأراضي العسكرية، إبعاد كبار الملاك عن مجتمعات القرى التي لا يمتلكون فيها أراضي بالفعل(١٢٤)، وقد جعل هذا القانون انتقال ملكية أراضي صغار الملاك سواء بالبيع أو

---

(122) Daniel, H. The Earth and People A. global History to 1550.2008
Vasiliev, History of Byzantine Empire, Vol I, P.345.

وسام عبد العزيز، قوانين الملكية الزراعية، ص٣٠٢، وما بعدها.

قوانين ليو السادس التي كان لها أثر سلبي على صغار الملاك وأفادت كبار الملاك:

قانون رقم ٨٤ الذي سمح فيه للموظفين العموميين في العاصمة بعقد صفقات البيع والشراء

See Leon VI, Les Novelles, nov, 84, PP.282, ff.

والقانون رقم ١١٤ الذي سمح للفلاح الذي يقوم بدفع الضرائب بانتظام أن يبيع أرضه بدون قيد وأن من حق الجيران استرداد الأرض الزراعية خلال الستة أشهر الأولى من البيع.

See leon V1, les Novelles, nov. 114, PP.367-ff.

ودافع ليو عن هذا القانون بأن هدفه منع الجيران من إساءة استعمال حقهم في الاعتراض ورفض عملية البيع حتى يجبروا البائع على بيع أرضه بثمن بخس.

على أية حال أدت تشريعات ليو السادس إلى فتح الطريق أمام الأقوياء وكبار الملاك واستطاعت هذه الطبقة القوية التسلل إلى مجتمعات صغار المزارعين الأحرار وعملت على القضاء عليها.

وسام عبد العزيز، قوانين الملكية الزراعية، ص٣٠٧.

(١٢٣) وسام عبد العزيز، قوانين الملكية، ص ٣٠٨.

(١٢٤) وسام عبد العزيز، قوانين الملكية، ص٣١٠-ص٣١١.

هناك اختلاف حول تاريخ هذا القانون فالتاريخ المذكور (٩٢٢م) مشكوك فيه لأنه في نظر بعض المؤرخين تاريخ مبكر على الأحداث التي سببت المشكلة الاقتصادية الاجتماعية التي نتجت عن مجاعة عام ٩٢٧-٩٢٨م/٣١٥-٣١٦هـ.

ويستدل أصحاب هذا الرأي بأن موظف الإدارة الذي صاغ قرار الإمبراطور رومانوس الثاني لعلاج الحالة التي وقعت في أحد الثيمات وقام قاضي الثيم بعرضها على الإمبراطور طبقا للرأي يقول: "إن قانون قسطنطين السابع الصادر في مارس عام

الإيجار في خمس طبقات يكون لها الحق بالترتيب في التملك أو الإيجار ليصعب انتقالها لكبار الملاك، وهذه الطبقات هي:

الفلاحون من أقرباء المالك المشتركون معه في نفس القطعة، أو فلاحون آخرون يشتركون مع المالك في نفس القطعة أو الحائزون لأراضي المشاع في قطعة الأرض التي سوف يجري التصرف فيها أو الفلاحون المشتركون معه في دفع الضرائب، أو سائر الملاك المجاورين لتلك القطعة.

واشترط القانون عدم انتقال الأراضي بالبيع أو الإيجار إلا بعد عرضها على الطبقات الخمس أولا حسب ترتيبها(١٢٥).

حافظ هذا القانون ببنوده السابقة علي مصالح صغار الملاك ولو طبق بالفعل لكان كافيا للتقليل من نفوذ كبار الملاك، ولكن من الواضح أن هذا القانون لم يطبق ولم يؤت ثماره المرجوة، والدليل علي ذلك ماقام به ليكابينوس من اصدار قانون آخر عام ٩٣٤م/٣٢٣هـ باسم الأباطرة رومانوس ليكابينوس، قسطنطين السابع وقسطنطين وستيفن (ولدي رومانوس ليكابينوس) ونصت مقدمته على أن الهدف من إصداره هو تصحيح انتهاكات ومخالفات معينة وقعت حديثا ووضع علاج دائم وشامل للمشاكل المتعلقة بالأرض وملكيتها والعمل على سد ثغرات التشريعات السابقة.

وخلاصته أن أي فرد من طبقة الأقوياء التي حددها القانون قام بشراء أراضي صغار الملاك يعيدها

٩٤٧م/٣٣٦هـ قد طبق بأثر رجعي يعود إلى عام المجاعة ٩٢٧-٩٠٨م/٣١٥-٣١٦هـ، وهو التاريخ الذي بدأت منه سلسلة التشريعات التي تناولت ملكية الأرض في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري.

وبحساب سريع يتضح أن تاريخ صدور القانون الأول لرومانوس هو عام ٩٢٨م/٣١٦ هـ.

- وفي مقدمة القانون الذي صاغه باسل الثاني عام ٩٩٦م/٣٨٦هـ ما يشير إلى أن القانون الأول لرومانوس قد صدر عام ٩٢٨-٩٢٩م/٣١٦-٣١٧هـ.
- انظر وسام عبد العزيز، قوانين الملكية الزراعية، ص٣٠٩-ص٣١٠.
- أن ما يعنينا هو أن الغرض من هذا القانون هو حماية صغار الملاك، ومنع استمرار ذوبان الملكيات الصغيرة لذلك كان الخارج على هذا القانون يرغم على إعادة الأراضي إلى أصحابها بدون تعويض فضلا عن تقديم غرامة مالية إلى خزانة الدولة، أما الملكيات التابعة للجند فكان على من اشتراها إعادتها إلى أصحابها دون تعويض ولا دفع غرامة مالية.

انظر محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٦٣.

(١٢٥) قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص١.

محمد زايد، طبقة العامة، ص١٤٠، هامش (١٠٧).

إلى مالكها الأصلي ويسترد المبلغ المدفوع وفي حالة فقر المالك الأصلي يعطيه مهلة سداد ثلاث سنوات(١٢٦).

وإذا نظرنا لهذا القانون نجده احتوى أيضا على بعض الثغرات التي استغلها كبار الملاك وكانت عائقا أمام تنفيذه، وهي أن طبقة الأقوياء التي حددها القانون لا يندرج تحتها الموظفون الحكوميون الذين منحهم قانون الإمبراطور ليو السادس رقم (٨٤) والسالف الذكر حق البيع والشراء الأمر الذي جعلهم يحتفظون بالأراضي التي اشتروها من صغار الملاك. بالإضافة إلى أن المهلة المذكورة غير كافية للفلاح الذي باع أرضه لاحتياجه للمال أن يقوم بسداد ثمن الأرض للمشتري.

لذا كان لابد من أن يسترد الفلاح أرضه ثم يقوم بتسديد المبلغ فيما بعد، ومما يدعم هذا الاستنباط ما قام به الإمبراطور قسطنطين السابع من إصدار قانون عام ٩٤٧م/٣٣٦هـ نص على ضرورة عودة الأراضي التي استولى عليها الأقوياء (خلال الفترة ما بين المجاعة ٩٢٧م/٣١٥هـ وحتى سنة ٩٤٥م/٣٣٤هـ) وهي السنة التي تولى فيها الحكم منفرداً إلى أصحابها الأصليين، وأن حق الشفعة امتد ليشمل حالات بيع أراضي تخص طبقة الأقوياء.

أما بالنسبة للأراضي العسكرية فقد أصدر الإمبراطور قانونا غير مؤرخا منع فيه ملاك الأراضي العسكرية من التصرف فيها، كما تضمن القانون المخالفات التي تدين قواد الثيمات والعقوبات المفروضة في هذا الصدد(١٢٧).

<u>ومن قراءتنا للقوانين السابقة يتضح لنا الآتي:</u>

إن هذه القوانين لم تنفذ بدقة كافية بدليل استمرار الأباطرة في إصدار تشريعات أخرى.

محاولة أباطرة البيت المقدوني مساندة صغار الملاك والحد من نفوذ كبار الملاك حتى لا يزداد نفوذهم بصورة تهدد الإمبراطور، وكي لا تختفي طبقة صغار الملاك التي تشكل مورد دخل للخزانة عن طريق الضرائب.

وقد استمرت هذه السياسة أثناء حكم أبناء البيت المقدوني ولكن عندما تربع على العرش قادة أقوياء تمكنوا من التسلل للعرش عن طريق المؤامرات تغيرت هذه السياسة لصالح الأقوياء الذين ساعدوهم في

(١٢٦) وسام عبد العزيز، <u>قوانين الملكية الزراعية</u>، ص٣١٣-ص٣١٤.

(١٢٧) وسام عبد العزيز، <u>قوانين الملكية</u>، ص٣١٤-ص٣٢٢.

الوصول للعرش وهذا ما فعله الإمبراطور نقفور فوقاس Nicephor Phocas حيث أصدر خمسة قوانين خاصة بهذا الشأن وهي: القانون الأول عام ٩٦٤م/٣٥٣هـ الذي حاول فيه الحد من نفوذ رجال الدين بمنع إهداء أو وقف أراضي أو مزارع للأديرة والكنائس من جانب الفقراء والأغنياء على السواء.

أما القانون الثاني والثالث: وهما غير مؤرخين فتناول نقفور فيهما الأراضي العسكرية للجنود، وقرر في قانونه الرابع الصادر عام ٩٦٧م/٣٥٧هـ إلغاء حق الشفعة للفلاحين كما أعطي في قانونه الأخير الحق للأغنياء في الاحتفاظ بقصورهم وضياعهم التي أقيمت في أراضي صغار الفلاحين(١٢٨).

حاول نقفور في هذا القانون تقليص نفوذ رجال الدين كي لا يكونوا قوة في وجهه فيما بعد، وكذلك أراد الاحتفاظ بالضرائب المفروضة على هذه الأراضي كي تساعده في حروبه.

كان هذا القانون متعسفا تجاه صغار الملاك، ومتحيزا لطبقة الأقوياء، وهذا يفسر لنا كراهية الشعب البيزنطي له، خاصة رجال الدين والفلاحين، على الرغم من تحقيقه الانتصارات العسكرية في نهاية الأمر، ولهذا فالحكمة تقتضي أن يتبع الإمبراطور اللاحق سياسة مغايرة، ولكن المثير للدهشة أن الإمبراطور يوحنا تزيمسكس ٩٦٩-٩٧٦م/٣٥٩-٣٦٦هـ الذي أعقب نقفور على العرش احتفظ بنفس الإجراءات التشريعية التي أدخلها نقفور فوقاس(١٢٩).

ولكن هذه السياسة لم تستمر كثيرا إذا تبدلت الأحوال عندما اعتلى العرش أحد أفراد البيت المقدوني وهو الإمبراطور باسل الثاني ٩٧٦-١٠ ٢٥/٣٦٦-٤١٦هـ الذي كان حريصا على المحافظة على أملاك الفلاحين والعساكر، وازدادت كراهيته للأسرات الحاكمة التي نازعته حقه في عرش آبائه(١٣٠).

لذلك أشار في التشريع الذي أصدره إلى أسرتي فوقاس ومالينوس على أنهما يمثلان الطبقة الارستقراطية كملاك الإقطاعيات الأقوياء، وألغت مهلة الأربعين سنة والتي بعدها- حسب القوانين القديمة- يبطل أي حق في إرجاع الملكيات المكتسبة بطريقة غير قانونية، وحاول باسل الثاني أيضا أن يحد من

---

(128) See Nicephor Phocas, Novellae, PP.309-323.
Vasiliev, History of Byzantine Empire, Vol I, PP.335-336.

محمد زايد، طبقة العامة، ص٢٩.

(١٢٩) وسام عبد العزيز، قوانين الملكية، ص٣٢٨.

للمزيد انظر سعاد محمود عبد الحميد، التنظيمات الديرية، ص٨٦.

(١٣٠) العريني، الدولة البيزنطية، ص٦٣٣.

اتساع أملاك الكنيسة على حساب أراضي صغار الملاك[١٣١]، وصار مهتما بالمنازعات الناشئة بين صغار الملاك.

ونستدل على ذلك من خلال وثيقة مختومة بختم الثور المذهب Golden Bull أصدرها باسل الثاني بشأن النزاع القائم بين شخص يدعي يوحنا ايفير تزيس John Iveritzes الذي أدعى ملكيته لأرض في ضاحية تسمى فيفاريون Vivarion والتي كان يسيطر عليها شخص يدعي باسل Basil الذي أكد على أن الأرض قد تم منحها لجده، وقام بسللوس بشرح التاريخ المعقد للملكية بالإضافة إلى بعض الوثائق ذات الصلة، وتم استدعاء الشهود للشهادة وأمر القاضي الرجلين بأن يقسما على صحة الوثائق التي يقدمها كل منهما على صحة إدعائهما ففعل باسل ذلك وامتنع ايفيرتزيس، لذا حكم القاضي لباسل[١٣٢].

وباستعراضنا للقوانين السابقة نجد أن بعض أباطرة الأسرة المقدونية أصدروا الكثير من القوانين وبذلوا كثير من الجهد لحماية طبقة صغار الملاك من الأغنياء والحد من نفوذهم كما نظروا في القضايا والمنازعات التي تنشب بين الملاك وما يصل إلى القسطنطينية من شكاوى، مما أسهم في التقليل من المنازعات حول الملكيات، وحققت نوعا من الهدوء النسبي في المجال الزراعي.

كما شكلت هذه القوانين جزء مهما من التشريعات التي صدرت عن أباطرة الأسرة المقدونية، وتناولتها أيدي المؤلفين بالجمع والتحليل والنقد وأفردت لها مؤلفات كبيرة مثل الباسيليكا والتي جمعت في عهد باسل الأول والمتجددات في عهد ليو السادس.

---

(131) Vasiliev, History, Vol, I. P.348.

محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٢٠.

وسام عبد العزيز، قوانين الملكية الزراعية، ص٣٢٨-ص٣٣٢.

(132) Dennis, A. Michael Pselli orations forenses et acta, Leipzig, 1994, P.6
Dennis, Rhetorician Practices Law, P.194.
Jackson, Western Civilization, P.234.

العريني، الدولة البيزنطية، ص٣٤٠.

للمزيد عن قوانين حماية الفلاح في عهد الأسرة المقدونية.

See Bissera, P. Icon and Power, pennstate, 2006, PP.127ff.
Geer, E. The land legislation of the Macedonian Emprerors, 2000.
Laiou, E. The Economic History of Byzantiurm 2008, p, 1100 ostrogorsky, The peasant's pre- Right An abortive Reform of the Macedonian Emperos in Journal of Roman studies, Vol 37.part 1and 2, 1947.pp117-126

وسام عبد العزيز، قوانين الملكية، ص٣٠١-ص٤٣٢.

بالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت المؤلفات الإرشادية الزراعية التي اهتمت بالزراعة في الكثير من جوانبها مثل كتاب الجيوبونيكا Geoponica وهو كتاب عن النباتات الذي كتبه مؤلف غير معروف في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري خلال عهد قسطنطين السابع، وينقسم الكتاب إلي عشرين فصلا، ويتعلق بموضوعات الفلك وزراعة الكروم والعنب، وكيفية عمل الخمر والنبيذ والعناية بالحيوان والبستنة، وزراعة القمح والزيتون والحشرات التي تصيب النباتات، وهو سلسلة كاملة من موضوعات كثيرة التي تجعل مالك الأرض يفهم كيف يفلح أرضه ويجعل زراعته مزدهرة(١٣٣).

ولم يقتصر الأمر على الزراعة فحسب، بل اتجه الأباطرة لتنظيم الصناعة والتجارة، ولتحقيق هذا الهدف أسند الأباطرة إلى حاكم العاصمة (والي المدينة) بعض الصلاحيات التي تمكنه من إنجاز مهمته في الإبقاء على النظام العام والأمان في العاصمة، ولهذا السبب كان يعمل تحت يده عدد كبير من الموظفين، وكان لديه سلطة قضائية على النقابات والتجار في العاصمة(١٣٤).

وأصدرت الدولة مراسيم للنقابات تناولت علاقة النقابات بالاحتكارات الحكومية، وبأهل القسطنطينية، وبالغرباء النازلين بالعاصمة وبما ترتبط به النقابات بعضها مع بعض من علاقات وصلات، ومن النقابات ما يخضع بطريق مباشر لسلطة الحكومة، وهذا النوع يرتبط بالصناعات التي تتعلق بالسياسة الاقتصادية للدولة، ويتمثل في النقابات التي تقوم بصناعة الحرير، وما يتصل بها من الحرير الخام وتجهيزه وصباغته

---

(133) Rosser, Historical dictionary, P.106

إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٣، ط٢، ١٩٩٧م، ج٣، ص٧٠.

يوسف سمير كامل بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية البنات، ج.عين شمس، ٢٠٠٧م، ص٤٥، هامش (٢)

عن الكتاب انظر:

Greppin, J.A.C
The Armenians and the Greek Geoponica in Tome, B. LVII fasicucle, I Bruxelles, 1987, PP.46-54.

الباسيليكا: اشتقت من اسم باسل وتعني كلمة باسليوس Basileus في اليونانية "قوانين الإمبراطورية

See Vasiliev, History, of the Byzatine Empire, Vo1 I, P.342

(134) Vasiliev, History, Vol, I. P.344.

ذلك أن الدولة البيزنطية نقلت من العصور القديمة أثر تجاريا يتمثل فيها هو معروف باسم الأصناف والنقابات.

انظر السيد الباز العريني، كتاب والي المدينة، ص١٣٦.

ونسجه وإعداده للبيع أو التصدير حيث كانت هذه السلعة ذات قيمة سياسية لا تكمن قيمته في السعر الذي يساويه، ولكن في الفخامة التي يضفيها.

فالنقابات الإمبراطورية وهي المعروفة بالنقابات العامة تتولى الحكومة الإشراف عليها، وقام إلى جانب النقابات الإمبراطورية خمس نقابات خاصة تشمل، تجار الحرير، وغزالي الحرير، وتجار الملابس المصنوعة من الحرير المحلي وصناع الأقمشة الحريرية والصباغين، وتجار المنسوجات الحريرية المستوردة، وتقوم هذه النقابات بصناعة وتجار المنسوجات القيمة التي تلي في الأهمية المنسوجات الإمبراطورية وتتولى بيعها للسكان، ولها أهميتها في تجارة بيزنطة الخارجية، ويتحتم عليها أن تؤدي ضريبة نوعية من هذه المنسوجات للدولة ولم يكن المشتغلون بها مستخدمين حكوميين، بل كانوا أرباب حرف وتجار مستقلين، شأنهم في ذلك شأن سائر النقابات(١٣٥).

وفرض نظام دقيق للرقابة على الطوائف المهنية التي تكفل حماية العامل من أصحاب رأس المال، ولكن كان يفرض عليه البقاء في طائفته لا يبرحها، وحدد الوالي الأسعار لشراء المواد الخام، وبيع المواد الغذائية وكان يحدد للطوائف المهنية المكان والزمان لبيع السلع، وكانت تفرض عقوبات شديدة على من يخالف(١٣٦).

وفرض رقابة أيضا على مقاولي العمائر والمباني وما يتصل بها من أرباب الحرف مثل التجاريين والبناءين الحدادين والمبيضين ومنع من يمارس البناء أن يتحول عن حرفته، ولا يجوز تغيير عقود البناء إلا بعد أن يقوم ممثل والي المدينة بفحص البناء، وتقدير قيمته، فإذا تداعت البيوت المشيدة من الآجر قبل مضي عشر سنوات من بنائها تكفل المقاول ببنائها على نفقته الخاصة إلا إذا كان سبب انهيارها يرجع لأمور تتعلق بالقضاء والقدر، أما المنازل المشيدة من الطين فلا يتحمل المقاول مسئوليتها إلا لمدة ست سنوات(١٣٧).

---

(١٣٥) انظر: وسام فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي، ضمن كتاب بيزنطة، قراءة في التاريخ السياسي والإداري، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٤م، ص٦٥-١٤٢، ص٩٥،
كتاب والي المدينة، ص ١٣٧-ص١٣٨.

(136) Basil I, The Procheiros Nomos, PP.54ff.
Talbot, A. M Becoming Byzantine Children and Childhood in Byzantium, Harvad university 2009, P.25.

ف.هـ. مارشال، الحركة البيزنطية في مظاهرها المختلفة، ضمن موسوعة تاريخ العالم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، نشره بالإنجليزية السيرجون، هامرتن، المجلد الرابع، ص٧٠١- ص٧٢٨، ص٧١٤.

(١٣٧) العريني، كتاب والي المدينة، ص١٤٣

وكان غرض الأباطرة من هذه القيود الحفاظ على التوازن في الصناعة حتى لا تختفي صناعات تسبب عجزا في الاقتصاد البيزنطي، وشملت القوانين صناعة الجواهر، والشمع والصابون وغيرها[١٣٨].

وإلى جانب الزراعة والصناعة عقد الأباطرة الاتفاقيات مع القوى المجاورة من أجل إنعاش التجارة، وذلك مثلما حدث مع الروس فعندما تجدد الصراع بين الروس والإمبراطورية البيزنطية وأنزلوا الخسائر ببعض المواقع البيزنطية مما اضطر ليو السادس إلى التفاوض معهم، وانتهى الأمر بعقد اتفاق بين الطرفين وتجدد الاتفاق مرة أخرى عام ٩١١م/٢٩٩هـ، ونصت بنوده على منح تسهيلات وامتيازات تجارية في الأراضي البيزنطية، واستمر السلام بين الطرفين حوالي ثلاثين عاما، انتعشت خلالها التجارة بينهما[١٣٩].

وترتب على الإجراءات السابقة ازدهار الاقتصاد البيزنطي الذي انعكس على حياة الترف التي عاشها الأباطرة والتي ظهرت في أسلوب حياتهم واحتفالاتهم فالإمبراطور قسطنطين السابع في إحدى الاحتفالات وضعت أمام مقعده شجرة مصنوعة من البرونز على أفرعها الطيور البرونزية المطلية بالذهب، وحول العرش أسود خشبية مطلية بالذهب أيضاً[١٤٠]، وكذلك الإمبراطور قسطنطين الثامن الذي استفاد من الأموال التي تكدست في الخزانة الإمبراطورية في عهد سلفه وشقيقة باسل الثاني، وانصرف إلى حياة الترف واللهو[١٤١].

وقد انعكس هذه الازدهار الاقتصادي على الحياة الاجتماعية، فقد تحسنت أحوال الطبقات العاملة والفقيرة[١٤٢].

للمزيد انظر كتاب والي المدينة.

(١٣٨) قسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٣١-ص٣٢.

Jenkins, " The supposed Russian attack on Constantinople in 907"pp403ff.

للمزيد انظر عليه عبد السميع الجنزوري، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٦م)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م.

طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ٩٤٥-١٠٥٤م، القاهرة، ٢٠٠٠ م اقتصر البحث على الإشارة للاتفاقيات بين بيزنطة وروسيا كنموذج للاتفاقيات التجارية.

(140) Andrew, Greek East and Latin west, P.209.

(141) Psellus, Chronograhpia, P.27.
Sklitzes, Asynopsis, P.333.

(142) Jackson, Western Civilization, P.234.

العريني، الدولة البيزنطية، ص٣٤٠.

الحياة الاجتماعية:

اهتم أباطرة الأسرة المقدونية بتنظيم الأحوال الاجتماعية في المجتمع البيزنطي، والقضاء على الأمراض الاجتماعية التي أصابته عن طريق فرض عقوبات صارمة على المخالفين، وجعلت القوانين العقاب بالسيف جائزا إذا وصل المجرم إلى عمر السابعة بخلاف الإكلوجا Ecloga التي كانت تشترط العقوبة لكل شخص بغض النظر عن العمر، وحددت أيضا العقوبات المتعلقة بالأطفال، وكذلك جعل عقوبة الموت هي جزاء من يرتكب جريمة القتل، ونظمت تجارة العبيد ووضحت مكانتهم في المجتمع(١٤٣).

وحاولوا القضاء على الرشوة عن طريق منع الطلاب من دفع الأموال لتعليمهم(١٤٤)، ونظمت القوانين مسألة الزواج وحددت عمر المتزوجين بثلاثة عشر عاما للإناث وخمسة عشر عاما للذكور(١٤٥)، وحث الإمبراطور ليو السادس على زيادة الإنجاب لحماية الدولة وزيادة عددها(١٤٦).

ونصت القوانين على استبعاد المرأة تماما من الحياة العامة، وحظرت ممارستها لأية وظيفة سواء بالحكومة المركزية أو بإدارة الأقاليم، أو شغلها للوظائف المدنية التي تتطلب نشاطا شخصيا من قبل شاغلها كالقضاء، والمحاماة، والصرافة، ولا يستطيع أن ترفع دعوى قضائية إلا من خلال ممثل لها ولضمان إبعادها تماما عن دوائر القضاء فرض المشروع عقوبة مالية على القاضي الذي يسمح بمثول المرأة أمامه(١٤٧).

وإلى جانب القوانين اهتم أباطرة الأسرة المقدونية بأحوال المجتمع والطبقات الفقيرة التي تألفت من عدة فئات شملت:

الفلاحون، صغار التجار، الحرفيون، والعمال، عمال اليومية والمتسولون، العبيد، وأغدقوا كميات من المال على الصدقات وبنيت العديد من المستشفيات، ودور لكبار السن، وزينت الكنائس المقدسة مثل كنيسة أيا صوفيا التي قام باسل الثاني بترميمها وإصلاحها(١٤٨)

---

(143) Talbot, Becoming Byzantine, P.25.

الأكلوجا، كتيب قانوني أصدر في عهد ليو الثالث عام ٧٤١م، وكان الهدف منه أن يكون بديل لقانون قديم وغامض، وهدف الإمبراطور ليو الثالث من الأكلوجا ان يقدم فيه المبادئ المسيحية.

Rosser. Historical dictionary, P.129.

(144) Kazhdan, Change in Byzantine Culture P.122.

(145) Leon V1, Novelles, nov, 74, PP.262-265.

(146) Leon V1, Novelles, nov, 26. PP.100.ff.

(١٤٧) عبد العزيز رمضان المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣١.

(148) Genesius, on the Reigns, P.112.

ووجد اهتمام من قبل كبار رجال الدولة بالفقراء، فقد خصص المؤرخ أتالياتس Attaleiates منزلين للفقراء لإيوائهم أحدهما في القسطنطينية والآخر في نيقوميديا(١٤٩).

أما الطبقة الوسطى، فقد كانت أحسن حالا من الطبقات العامة، وانقسمت إلى عدة فئات: كبار التجار، الفنانون، المهندسون والناسخون، والأطباء وانتمت إلى هذه الطبقة فئة أخرى لا تعمل في التجارة أو الصناعة ولكن لها تطلعات وأهمية وتعتبر من خصائص القسطنطينية هي فئة المثقفين، وهي الطبقة المتعلمة التي ساهمت في الارتقاء الحضاري للإمبراطورية بنفس أهمية مساهمة القائد العسكري أو السياسي أو الإمبراطور نفسه، أما الوظائف التي شغلها هؤلاء المثقفين، فالمعروف أنهم عملوا بالتدريس في المدارس وفي جامعة القسطنطينية، كما قاموا بإعطاء الدروس الخاصة، وعملوا في الإدارات الحكومية والكنسية(١٥٠).

وبذلك أوجدت الأسرة المقدونية الحلول لكثير من مشاكلها الداخلية، ووفرت الدولة لسكانها سبل الراحة في الحصول على الموارد الغذائية(١٥١).

وإلى جانب الازدهار الاقتصادي، والاستقرار الاجتماعي لم يغفل أباطرة الأسرة المقدونية الحياة الدينية.

الحياة الدينية:

كان المجتمع البيزنطي مجتمعا عقائديا بطبيعة تكوينه، ولهذا فقد كان للعقيدة أثرها البالغ في كافة المجالات المتصلة بحياة الإمبراطورية(١٥٢)؛ لذا حرص أباطرة الأسرة المقدونية على إرضاء الشعب ورجال

Leo the Deacon, History, P.10.

محمد زايد، طبقة العامة، ص٥٦.

(149) Attaleiates, m. Rule of Michael Attaeiates for his Almshouse PP.335-336.

(١٥٠) وسام عبد العزيز، أضواء على مجتمع القسطنطينية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الخامس، مايو ١٩٨٤، ص٦٩-ص١٣٥، ص٨٩-ص٩٠.

محمد زايد، طبقة العامة، ص٥٥.

(١٥١) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٤٨.

نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٦٩.

(١٥٢) إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص١.

الدين، فاهتم الأباطرة بتشييد الأديرة والكنائس، وأعادوا تنظيمها، وقدموا الدعم المادي والمعنوي لها، فشيد الإمبراطور ليو السادس كنيسة القديسة انا St.Anne، ورمم أجزاء كبيرة من الكنيسة الكبرى التي تسمى نارثيكس Narthex بعد تدميرها على يد البلغار، وشجع الإمبراطور نقفور فوقاس صديقة بتأسيس ديرلافرا العظيم(١٥٣).

وفي القرن الحادي عشر أسس الإمبراطور رومانوس الثالث آرجيوس Romanus III Argirous ١٠٢٨-١٠٣٤م. دير بيربليتوس Peribleptos وشيد الإمبراطور قسطنطين التاسع ديرمانجانا mangana بالقسطنطينية(١٥٤).

كما قدم الدعم المادي لمؤسسة لازاروس الدينية Lazaros وذلك لأن الأخير تنبأ له عندما كان في المنفى بأنه سوف يصبح إمبراطور(١٥٥).

---

(153) Leo V1, Homilies, P.13

Mango, C. The Art of the Byzantine Empire (312-1453) New Jersey. PP.201-206.

وسام عبد العزيز، السلاف في شبه جزيرة البلقان، ص ١٧٥.

ديرلافرا العظيم: الدير الأكبر والأعظم على جبل، آثوس في القرن العاشر الميلادي، في عام ٩٦٣م، بني بواسطة أثاناسيوس الأثوسي Athansios of Athos صديق الإمبراطور نقفورفوقاس الذي قدم الأموال اللازمة لبناءه

Rosser, Historical dictionary, P.240.

(١٥٤) سعاد محمود عبد الحميد، التنظيمات الديرية في بيزنطة، ص٨٦.

رومانوس الثالث: إمبراطور من ١٠٢٨-١٠٣٤م خلف قسطنطين الثامن تقلد منصب رفيع المستوى في المدينة بزواجه من ابنه قسطنطين الثامن زوي وأصبح ذو صلة بالأسرة المقدونية، وهزم في حلب عام ١٠٣٠م، تأمرت زوي والآخرين علي إغراقه عام ١٠٣٤م.

Rosser, Historical dictionary, P. 344.

ديرمانجانا: يقع في العاصمة القسطنطينية في منطقة لينجون والدير مكرس للقديس جورج ونال الدير شهرة واسعة ومكانة هامة بين الأديرة في القسطنطينية.

سعاد عبد الحميد، التنظيمات الديرية، ص٨٦، حاشية (٢).

ديريبريلنوس Peribeptos في القسطنطينية اسس من خلال الدعم المادي الذي قدمه رومانوس الثالث حوالي عام ١٠٣٠ عقب حملة الإمبراطور من حملته على سوريا والدير مكرس للسيدة العذراء.

Rosser, Historical dictionary, P.344.

سعاد عبد الحميد، التنظيمات الديرية، ص٨٦ هامش (١).

(155) The Life of lazaros of MT. Galesion in DOR, Washington, 2000, P.41.

ولم يغفل الأباطرة رهبان الأديرة فحرصوا على إقامة علاقات طيبة معهم مثلما فعل الإمبراطور نقفور فوقاس الذي قام بزيارتهم وزودهم بالأموال ووهبهم الهدايا والتبرعات في فترات منتظمة، إلا أنه من ناحية أخرى أصدر مرسوما حدد فيه ملكيات الأديرة للأراضي الزراعية وعمل على تقليل ثرواتهم(١٥٦) كما أمر بأن لا يعين أحد من الأساقفة بدون قرار إمبراطوري(١٥٧).

كما كانت الانتصارات العسكرية التي حققها أباطرة الأسرة المقدونية سببا في تأمين حدود الإمبراطورية، وحماية الأماكن النائية، والجبال من التعرض للهجوم من قبل الأعداء الأمر الذي وفر للرهبان الأمان في هذه الأماكن(١٥٨).

واستكمالا لجهود الأباطرة في تحقيق الاستقرار الديني صدرت عنهم مجموعة من الوثائق سميت (تيبكون الأديرة) لتنظيم الحياة الرهبانية، فوجة الإمبراطور قسطنطين التاسع قوانين لرهبان جبل أثوس للقضاءعلي الخلافات فيما بينهم(١٥٩) ولم تكن هذه المرة الأولى التي اهتم بها الأباطرة برهبان هذا الدير، فقد ظهرت وثيقة سابقة موجهة للرهبان المقيمين على جبل أثوس عندما اشتد النزاع بينهم الأمر الذي أدى إلى استغاثتهم بالإمبراطور يوحنا تزيمسكس فاستجاب الإمبراطور لطلبهم وأرسل لهم Euthymios رئيس دير ستوديون stoudion ليعيد السلام إلى جبل أثوس فوضع القواعد والقوانين لتنظيم الحياة الرهبانية هناك، وتتميز هذه الوثيقة بأنها لم تقتصر على القواعد المنظمة للرهبان فيما بينهم، بل وضعت قواعد منظمة لعلاقتهم مع العالم الخارجي(١٦٠).

لازاورس: ولد القديس لازاروس في أسرة ريفية بسيطة بقرية ثيوتوكس Theotokos بالقرب من ماجينيا magnesia اسمه العلماني ليو تلقى تعليمه الأساسي في موطنه ثم التحق بدير في بامفيليا Pamphylia وهناك اتخذ الاسم الرهباني لازاروس وقضي بالدير سبع سنوات ثم ذهب إلى الأرض المقدسة.

See Life of Lazaros, pp6ff.

(156) See Typikon of Athanasios the Athonite, pp245-270.
Vasiliev, History, Vol, I, PP.335-337.

(157) Schmitz, L. AHistory of the middle ages Rivington, 1865, P.402.

(158) Vasiliev, Hitory, Vol, I, P.337.

(159) Constantine IX, Typikon of Emperor Constantine monomachos, P.281.

(160) Tzimiskes Typikon of Emperot John Tzimiskes PP.232-235.
Euthymios, Testament of Euthimios for the monastery of samathia and Ta- Agathou trans karlin, P, in BMFD, PP.120-124.
Constantine 1X, Typikon of Emperor Constantine 1X, P.281.

وبذلك نجح أباطرة الأسرة المقدونية في تحقيق الاستقرار الداخلي[١٦١]، الذي انعكس بدوره على الازدهار الثقافي مما أتاح للشعب فرصة الإقبال على العلم والثقافة.

ومما أسهم في تحقيق الاستقرار الداخلي وإن كان بشكل غير مباشر الانتصارات التي حققها أباطرة الأسرة المقدونية في المجال الخارجي مما أدى إلى تأمين حدود الإمبراطورية وساعد الأباطرة أيضا على التفرغ للأمور الداخلية[١٦٢].

والحقيقة أن الإمبراطورية البيزنطية امتدت حدودها في العصر المقدوني شمالا حتى الأراضي الأرمينية، ووصلت جيوشها في الجنوب حتى تخوم بيت المقدس، وفي الغرب أخضعت المملكة البلغارية لسلطانها وجعلت منها ولاية بيزنطية.

وفي الناحية الداخلية ازدادت كفاءة الجهاز الإداري، ولعبت الدبلوماسية البيزنطية دورها كاملا بمهارة فائقة، ونشطت الحركة الفكرية والأدبية والفنون، واستمر الاهتمام بالناحية التشريعية وازدهر الاقتصاد البيزنطي[١٦٣].

وبعدما تمكن أباطرة الأسرة المقدونية من تحقيق الاستقرار الداخلي، اتجهوا للاهتمام بالعلم والثقافة برعايتهم وعنايتهم الأمر الذي أدى إلى تحقيق الازدهار الثقافي.

ثانياً: تشجيع ورعاية العلم والعلماء:

دور الأباطرة في رعاية العلم والعلماء:

ارتبط العصر المقدوني بحركة الإحياء الثقافية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين، ونالت الحركة العلمية والثقافية حظا وافرا من الرعاية والاهتمام[١٦٤].

---

(١٦١) وخير دليل على الاستقرار الداخلي ما ذكره كاتب سيرة القديسة توماس الليسبوسية من أنها كانت قادرة على التحرك ليلا ونهارا لتزورا الأضرحة والمواكب الدينية

See the life of st Tomais of Lesbos, P.292.

(162) Vasiliev, History, Vol I, p.337., Lemeral, Le Gouvernment, p223..

(١٦٣) رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص٢٥٦.

(164) Treadgold, Renaissance before Renaissance P.75.

جيهان عبد المقصود، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية، ١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١١٧.

كما اعتمد كلا من النشاط الفني والأدبي على الرعاية والتشجيع من قبل الأباطرة الذين تأسوا باليونانيين الذين اعتبروا أنفسهم من سلالتهم، وظلت الهوية الهللينية في وجدان الشعب البيزنطي، كما كانوا دائما يقدمون أنفسهم على أنهم يونانيين أنقياء، ويشعروا بالفخر لأنهم هللينين[١٦٥]، وأحاطوا أنفسهم بفئة من العلماء في مختلف ضروب العلم، وأنعموا عليهم بمناصب شرفية[١٦٦]، وأتاحوا لهم الإطلاع على الوثائق المحفوظة في القصر الإمبراطوري[١٦٧]، وأرسى أباطرة هذه الأسرة دعائم حركة نشطة لإحياء الثقافة في الإمبراطورية منذ عهد مؤسسها باسل الأول Basil I الذي وضع أول لبنه في نمو وتطور الحياة الثقافية منذ أن تولى الحكم في الدولة وكان يتسم بالنشاط والكفاءة العالية[١٦٨]، وكان راعيا للفنون والعلوم، فأعدت له خصيصا نسخة مزخرفة من تضرعات القديس جويجوري النازيانزي Gregory Nazianzus التي نسخت خصيصا للإمبراطور باسل الأول ما بين عامي ٨٦٧-٨٨٦م/ ٢٥٣-٢٧٣هـ[١٦٩].

وقرب إليه الرجال العسكريين الذين كانوا في نفس الوقت رجال علم مثل نقفور أورانوس Nicephorus Ouranus أكثر مستشاريه قربا منه لعدة سنوات وكان في نفس الوقت قائدا وكاتبا[١٧٠]، وامتد هذا الاهتمام أيضا إلى العلماء من رجال الدين فقرب إليه البطريرك فوتيوس الذي كان رجل ذا مكانة ليس فقط بين العلمانيين، ولكن أيضا بين الأساقفة وكلفه باسل الأول بتعليم ابنه وخليفته ليو السادس Leo

---

(165) Cameron, A. The Byzantines, Black well Publishing, 2006, P.134.
Simos, m. The Value of Byzantine and modern Greek in Hellenic studies, oxford, 1909, p.14.
عبد العزيز رمضان، البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية، مجلة المؤرخ المصري، العدد الثامن والعشرون، ٢٠٠٥م، ص٣٩-ص٧٤، ص٥٦
لا شك إن الإمبراطورية البيزنطية ككينونة سياسية هي امتداد وتواصل مباشر للإمبراطورية الرومانية القديمة، التي اشتملت على عالم البحر المتوسط بأكمله وأجزاء كثيرة خارجة غير أن الإمبراطورية البيزنطية ككيان حضاري نشأت على أرض يونانية ذات حضارة هللينية لها سمات وخصائص تختلف عن نظيرتها الرومانية.
للمزيد انظر عبد العزيز رمضان، البيزنيطون بين الهويتين اليونانية والرومانية، ص٤١-ص٤٢.
(166) Maguire, H. Byzantine court culture from 829 to 1204, Harvard university Washington, 2004, p.146.
Baynes, Byzantium, P.212.
(167) Edwin, A History of Classical scholarship, P.404.
(168) Genesios, on the Reigns, PP.110-111.
نجلاء شيحه، مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، ص١٥٩.
(١٦٩) سيد علي الناصري، الروم والمشرق العربي، القاهرة، مركز النشر بجامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٠٦.
عن الفنون انظر الفصل الرابع.
(170) Stephanson, P. Byzantium's Balkon frontier, Cambridge, 2000, P.62.

V1[١٧١] وكان باسل الأول وليو السادس من أكثر الأباطرة حبا للفلسفة وإن اختلف ليو عن والده في أن اعتزازه بالماضي كان أقوى مما كان عند والده وبصفة خاصة في الثقافة والكتابة أكثر من السياسة والحكم[١٧٢].

وراعي المناخ الثقافي وكان أفضل ما قام به ليو السادس مجهوداته في الحفاظ على المناخ الفكري، الذي أوجده فوتيوس وقال أحد المؤرخين: أنه قد جعل لنفسه موضع فخار في تاريخ التعليم البيزنطي عامة، وتاريخ التعليم الكنسي بصفة خاصة؛ فقد وضع ليو جميع رجال العلم والأدب في عهده موضع ترحيب وحماية[١٧٣]، وأنعم عليهم بمناصب في القصر فقد جعل أريثاس Arethas تلميذ فوتيوس الخطيب والمتحدث الرسمي في القصر وكان يلقي الخطب أمام الامبراطور[١٧٤].

حظي العلماء بنفس الرعاية والاهتمام في عهد خليفته قسطنطين السابع الذي حاول أن يرفع من تعليم وثقافة شعبه وأنفق مبالغ طائلة في تجميع دواوين للكتاب القدماء وكلف بكتابة أعداد كبيرة من المؤلفات تشير إلى الفترة المقدونية فظهرت في عهده العديد من المؤلفات الموسوعية وعدد كبير من الكتابات التي أنجزت في عهده مازالت باقية حتى الآن[١٧٥].

فقد ألف المؤرخ سيمون ميتا فراستيس Simeon metaphras كتاب عن حياة القديسين Lives of

---

(171) Simos, The Value of Byzantine, P.14.
Vasiliev, History, vol I, PP.331-332.
العريني، الدولة البيزنطية، ص٢٥٨–ص٢٥٩.
أسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف بيروت، ط١، ١٩٥٦، ج٢، ص١٤.

(172) Leo V1, The Homilies, P.52.
Baynes, Byzantium, P.208.
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٥.

(173) Vasiliev, History, Vol I, PP. 361-362.
Howland, A universal biographical dictionary P.279.

(١٧٤) وسام عبد العزيز، بيزنطة، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٤، ص١٢٠، هامش (٨٧).

(175) Andrew, Greek East and Latin west P. 208.
Alison, sh, fifty key classical authors, 2002, P. 405.
Tread gold, Renaissance, P. 75.
Baynes, Byzantium, P. 208.
Vasiliev, History, vol I, P. 362.
شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، جـ٣ ص ١٠٢٤.

saints تحت إشراف الإمبراطور قسطنطين السابع[١٧٦]. وعاش في كنف الإمبراطور المؤرخ يوسف جنزيوس الذي كلفه بكتابة مؤلفه Basiliea[١٧٧].

ولم يقتصر الإمبراطور على الرعاية والتشجيع بل حضر بنفسه مجالس العلماء في القسطنيطينية، وأحاطهم بالعناية والرعاية الكاملتين حتى علت الثقافة الأدبية على غيرها في هذا القرن[١٧٨]. واهتم بجامعة القسطنطينية، وجعل بها أربعة كراسي هي:

الفلك والهندسة، والفلسفة، والبلاغة بالإضافة إلى تدريس علم الحساب والموسيقى والقواعد والقانون والطب[١٧٩].

وقد تجلى اهتمامه وتقديره للمتعلمين والمثقفين في اختياره لمن يتخرجوا من جامعة القسطنطينية، ليكونوا موظفيه المدنيين وأساتذة في مدرسة القصر ورجال الأكليروس[١٨٠].

أما فيما يتعلق بالفن، فقد عمل أيضا على تشجيع الفنون، وبلغ من تشجيعه للفنون أنه قام بنفسه بعمل وعاء الذخائر المقدسة الجميل كجزء من الصليب الحقيقي ويعتبر من أروع الكنوز الفخمة[١٨١].

كما كان الإمبراطور عاشقا للتراث التصويري الكلاسيكي الإغريقي، وحث الفنانين على بعثة من جديد في شكل مسيحي، ومن تراث عصره الفني تلك المنحوتة من العاج والتي تصور حفل تتويجه.

وظهر اسم الإمبراطور في أعمال الطلاء الزخرفي في ذلك العصر مما يدل على أنه كان شديد

---

(١٧٦) نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٧٠

(١٧٧) وديع فتحي عبد الله، جوزيف جنسيوس مؤرخ لحكم الإمبراطوار ميخائيل الثاني العموري ٨٢٠- ٨٢٩م، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الخامس، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص٢٧٣-٣٤٥، ص٢٩٧.

(178) Vasiliev, History, vol I, p. 363

(179) Baynes, Byzantium, P. 217.

(180) Andrew, Greek East and Latine west, P. 208..
Rosser, Historical dictionary, P. 94.

رأفت عبد الحميد بيزنطة، ص ١١٢.

(181) Talbot, A.m, Art of the Byzantine Ear, Thames and Hudson Reprinted, 1994, P.110
والوعاء موجود الآن في ألمانيا وأتى به للغرب كجزء من الكنوز التي جمعها أثناء اقتحام القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م.

Talbot, Art, P.110

الاهتمام بالحركة الفنية وأثر على مسارها[١٨٢].

والحقيقة أن الإمبراطور قسطنطين السابع يصعب مقارنته بأباطرة عصره من حيث عمق الثقافة، واهتمامه بجمع المعلومات عن طريق البحث الدؤوب عن المعرفة، وجمعها من الكتب المتوفرة، وأنفق الأموال على تجميع المختارات الأدبية من الكتاب القدماء كما كلف بإعداد مكتبات متنقلة اكتسب منها خلفاؤه معارفهم، وقد بلغت بيزنطة في عهده مجدا ثقافيا[١٨٣].

وظل الأمر هكذا خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين ولكن في نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي اتجه الاهتمام كله إلى النواحي العسكرية والدبلوماسية بسبب الحروب التي خاضتها الإمبراطورية في هذه الفترة وبصفة خاصة في عهدي الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسلفه نقفور فوقاس.

وليس معنى ذلك أن النشاط الثقافي كان متوقفا تماما، فقد ظهرت في عهديهما العديد من التشريعات والمجموعات القانونية، بالإضافة إلى ما بذلوه من جهد في تحقيق الاستقرار الداخلي، وكان لانتصاراتهم العسكرية دورا في تحقيق الاستقرارالداخلي في البلاد مما انعكس بدوره على الحياة الثقافية.

أما في عهد الإمبراطور باسل الثاني الذي كان قليل الاهتمام بالثقافة، ولم يكن أيضا يميل إلى رجال العلم ولا يحب التعليم إذا اعتبره أيضا لغوا عديم الفائدة، فلم يستخدم في مجلسه وفي سير الأمور وفي الكتابة إلا رجالا لا يشتهرون بنسبهم أو بعلمهم فكان لا يملي عليهم إلا رسائل قصيرة في أسلوب جاف دون اهتمام بالصيغة إذ جعل كل اهتمامه يدور حول مسألة تكديس الأموال[١٨٤].

وإن كان هذا لا يعني عدم إسهامه في الازدهار الثقافي ففي عهده كثرت الأعمال الفنية سواء في

---

(١٨٢) الناصري، الروم والمشرق العربي، ص٣٣٩.

(١٨٣) قسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٣٩-ص٤٠.

Vasiliev, History, Vol, P.362.
Baynes, Byzantium, P.212.

(184)Gadolin, ATheory of History, and society with special reference to the chronographia of michael psellus 11th century Byzantium and arelated section on Islamic ethics Amsterdam, 1987, P. 70.
Vasiliev, History, Vol I, P.365.
Lemerle, Le Gouvernment, P.195

العريني، الدولة البيزنطية، ص٥٦٩.

رستم، الروم، ج٢، ص٥١.

فن التصوير والطلاء على الحوائط أو على قطع النسيج، ومن أشهر الأعمال الفنية التي ترجع إلى عهده زخرفة نسخة من "مزامير داود" محفوظة الآن في مكتبة كنيسة القديس مرقص بفينسيا "البندقية" تصور مشاهد من حياة النبي داود عليه السلام- اليومية[١٨٥]، وجعل ليو الشماس مؤلف كتاب التاريخ من رجال الدين في البلاط الملكي[١٨٦].

بالإضافة إلى انتصاراته العسكرية وتكديسه للأموال فقد أدى إلى استقرار داخلي، وأسهم في تحقيق الازدهار الاقتصادي الذي انعكس بدوره على الازدهار الثقافي، حيث توفرت الأموال لشراء الكتب وانصرف الناس للقراءة والإطلاع.

كما كان مهتما بالاصلاحات الداخلية، فقد اهتم بإصلاح كنيسة أيا صوفيا التي دمرها زلزال عام ٩٨٩م/٣٧٩هـ وقد احتاج في إصلاحها وترميمها إلى ست سنوات[١٨٧].

ولم يكن خليفتا باسل الثاني وهما قسطنطين الثامن ورومانوس الثالث بأفضل أو أحسن في مجال الفكر والاهتمام بالعلماء فقد استمر إهمال العلم والفكر أو على الأقل معاملتهما بنوع من اللامبالاة والسطحية، وعلى الرغم من أن فنون الآداب لم تكن تلقي رعاية كبيرة من جانب الكثير منذ عهد باسل الثاني حتى زمن قسطنطين التاسع ألا إنها لم تختفي تماما[١٨٨]، ولكن الأمر اختلف في عهد قسطنطين التاسع إذ بدأت النهضة تدب في أوصال الفكر والنتاج الفكري وفي عصره حدث توسع وانفتاح في التعليم[١٨٩].

وقد شهدت الحركة التعليمية اهتماما ملحوظا، حيث أبدى الإمبراطور قسطنطين التاسع استعدادا جيدا للنهوض بالتعليم و الثقافة في بيزنطة وكان يحث الشباب على الدراسة بتخصيص مكافأة للمتميزين

---

(١٨٥) الناصري، الروم والمشرق العربي، ، ص٣٤٤.

(186) Leo the Deacon, History, P. 9

(187) Leo the Deacon, History, P.10

(188) Anna Comena, The Alexiad, Trans By Dawes Ontario, 2000.

وقد اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية:

أنا كومنينا، الكسياد، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ص٢٢١.

Vasiliev, History, Vol, I, P.365.

شعبان خليفة، الكتب والمكتبات، ج٣، ص١٠٢٤-ص١٠٢٥.

(189) Skylitzes, Asynopsis, p590, Lemerle, Le government, p245.

وقرب إليه عددا كبيرا من العلماء[١٩٠]. وكان يهدف إلى تكوين هيكل من الموظفين الحكوميين الأكفاء[١٩١]، وسمح لأفراد من الأسر الغير نبيلة للوصول إلى مجلس الشيوخ وأجزل لهم العطاء وقرب إليه مجموعة من العلماء دون اعتبار للنسب أو النبالة، ولكن كان العلم هو أساس قربهم من البلاط الإمبراطوري دون النظر إلى جذورهم العائلية أو انتمائهم الأسرية فاستعان الإمبراطور بميخائيل بسللوس ويوحنا اكسفلينوس John xiphilinus.وقسطنطين ليخوديس Constantine leichudes الذين كان لهم دورا رئيسيا في إقناع الإمبراطور بضرورة الاهتمام بالتعليم والثقافة.

وقد شكلوا ركائز الصحوة العلمية التي عاشتها الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين التاسع بعد كبوة طويلة عانى منها التعليم منذ أواخر القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري وشجعهم على التأليف فطلب من بسللوس كتابة العديد من الرسائل المهمة ووضع كتابه التاريخ بناء على طلب الإمبراطور[١٩٢]، الذي أنعم عليه بلقب قنصل الفلاسفة Consul of the Philosophers الذي كان يفتخر به كثيرا[١٩٣].

على أنه من أهم الأمور التي أقدم عليها قنسطنطين التاسع إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ١٠٤٥م/٤٣٧هـ، [١٩٤] لإمداد الدولة برجال مثقفين قادرين على إدارة شئون الحكم بحكمة وكفاءة وأنفق بسخاء على العلم والعلماء، وكان يقدم لهم الملابس الحريرية والذهب والأموال[١٩٥] ؛ولاستيائه من الحالة

---

(190) Lemerle, Le Government, P.P.223-224.

(191) Baynes, Byzantium, P.217.
Vasiliev, History, Vol I, P.366

(192) Gadolin, Atheort of History, PP.60-61.
Lemerle, Le Government PP.204-207

يوحنا أكسلفينوس: بطريرك القسطنطينية من عام ٤٥٧/١٠٦٤هـ حتى ١٠٧٥م/٤٦٨هـ، وكان خبير قانوني وصديقا لميخائيل بسللوس، ويوحنا موريوس قبل تعيينه بطريرك

Rosser, Historical dictionary, P.218.

قسطنطين ليخوديس: المستشار الإمبراطوري لبطريرك القسطنطينية من عام ٤٥١/١٠٥٩هـ، حتى عام ١٠٦٣م/٤٥٦هـ واجه الشئون الرسمية كمدير رئيسي لقسطنطين التاسع وتضمنت دائرة أصدقائه يوحنا ماوربوس وبسللوس، ويوحنا أكسفلينوس.

Lemerle, Le Government, PP.202-203.
Rosser, Historical dictionary, P.91.

(193) Psellus Chronographia, p.41
Dennis, A rhetorician practices law, p. 187.
Dennis, Michaelis pselli orationes panegyrica pp. 215- 264.
Godolin, A theory of History and society, p. 51.

(١٩٤) رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص ٢٦٦.

(195) Kazhdan, Change in Byzantine Culture p. 122.

التي آلت إليها المعارف القانونية حيث كان المحامون جميعا دون استثناء تقريبا ممن علموا أنفسهم بأنفسهم وبدرجة يعتريها النقص في جميع نواحيها[١٩٦]، فأصدر قانونا عامي ١٠٤٦-١٠٤٧م/٥٤١-٥٤٢هـ بتأسيس مناصب قانونية جديدة[١٩٧]، وأنشأ مدرسة للقانون كان مديرها يعين مدى الحياة، ويشترط فيه إجادة اللغة اللاتينية، وكان بمثابة وزير دولة[١٩٨]، كما عهد إلى أكسفلينوس بالإشراف على الدراسات القانونية[١٩٩]، ولم يكتف بهذا الأمر بل أراد أن يرقى أيضا بالمعارف الفلسفية لذا أنشأ كرسيا لأستاذية الفلسفة بما في ذلك علم اللاهوت والدراسات القديمة الكلاسيكية[٢٠٠]، وهذا يدل على مدى تأثير بسللوس على الإمبراطور لأنه من أكثر المهتمين بالدراسات الفلسفية حتى أن الإمبراطور عينه رئيسا لمدرسة الفلسفة[٢٠١].

وبالإضافة إلى جهود الإمبراطور السابقة ورعايته للعلم والعلماء، فإنه أراد أيضا أن يثقف نفسه، لذا استدعى كلا من:أكسفلينوس وبسللوس إلى القصر وسط حاشيته، واستعان ببسلوس كي يعلمه البلاغة مع قليل من الفلسفة على أن يقوم اكسفلينوس بتعليمه القانون[٢٠٢].

والحقيقة أن الإمبراطور قسطنطين التاسع قد أنعش الحياة الثقافية في بيزنطة من جديد بعد أن أصابها الذبول نتيجة الاهتمام بالنواحي العسكرية وحرص على تعليم وتثقف شعبه وقرب إليه العلماء من الطبقة الوسطى وأعاد تنظيم أكبر مؤسسة تعليمية في هذه الفترة وهي جامعة القسطنطينية.

دور كبار رجال الدولة ورجال الدين:

ولم يقتصر الأمر على تشجيع الأباطرة فحسب، ولكن كان لكبار رجال الدولة والوزراء ورجال الدين

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية، ص ٢٣٦.

(١٩٦) ستفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ت عبد العزيز جاويد القاهرة، الهيئة المصرية، ط٢، ١٩٩٧م، ص٢٧٤.

(197) Cameron Byzantines p.142.

(198) Kazhdan chonge in Byzantine Cultuse p.122
Lemerle, Le Government, p. 223.

(199) Lemerle, Le Government, p. 207
Rosser, Historical dictionary, p. 95

(٢٠٠) رنسيمان الحضارة البيزنطية، ص ٢٧٤.

(201) Ierodikonou, k. Byzantine philosophy and ancient sources. Oxford 2001. p.151.Kazhdan, change in Byzantine culture, p. 123, lemerle, Le gouvernement, p. 223

رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص ٢٦٧

(202) Lemerle, Le Gouvernement, p. 207.

دورا في التشجيع على العلم فقد كان حنا ماوروبوس John mauropus ت: ١٠٨١م/٤٧٤هـ المستشار المقرب للإمبراطور قسطنطين التاسع، ومن أبرز العلماء والأساتذة وقد علم مجموعات متفرقة من الشباب الذين شغلوا فيما بعد مناصب رفيعة في البلاط الإمبراطوري، وكان من بينهم بسللوس(٢٠٣).

الذي حدث تلاميذه في محاضراته على ضرورة اكتسابهم لكل أنواع المعرفة التي كانت لدى الفلاسفة كي يكونوا متنوعي الثقافات ولتطبيق هذا كان عليهم أن يدرسوا التاريخ والجغرافيا والموسيقى(٢٠٤).

واهتم اريثاس كبير أساقفة قيسارية Caesaria بالثقافة وحرص على اقتناء الكتب ففي عام ٨٨٨م/ ٢٧٥هـ قام بشراء كتاب أقليدس وهو الآن في مكتبة بودلي في جامعة اكسفورد، ودفع ثمنا له أربعة نومزمات (مسكوكات) (٢٠٥).

وعلى الرغم من تقليص دور المرأة في الإمبراطورية البيزنطية، إلا أنها أسهمت أيضا في النهوض بالحياة الثقافية فقد كان لبعض القديسات دورا في تثقيف بنات جنسهن فعلى سبيل المثال القديسة أثناسيا Athanesia التي جمعت كل جاراتها يوم العيد وقرأت عليهم الكتاب المقدس كي تفتح عقولهن بشكل تدريجي، وتوجهن بطريقة دينية إلى الخوف من الله وحب السيد المسيح(٢٠٦).

وقد لعبت المؤسسات الدينية كالكنائس والأديرة دورا في النهضة الثقافية، وكانت تعليمات الأديرة تنصح الشباب بالابتعاد عن المدارس التي تسودها التقاليد العلمانية(٢٠٧)، وكانت البطريركية تقدم دعما للمدارس كنوع من الهيمنة الكنسية على التعليم حتى لو كان علمانيا(٢٠٨).

---

(203) Lemerle, Le Government, P.197.

حنا ماوروبوس: من رجال الدين في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري وكان مولده في بافلاجونيا وتعلم بالقسطنطينية ثم عمل بالتدريس وأحرز فيه شهرة كبيرة وصار ماوربوس راهبا بالقسطنطينية في الثلاثينات من القرن الحادي عشر الميلادي، لكنه لم يتخل عن التدريس

Rosser, Historical dictionary, P.262.

نيكول، معجم التراجم، ص٢٦٢-ص٢٦٣.

(204) Kaldelis, Hellensim in Byzantium P.195.

(٢٠٥) شعبان خليفة، الكتب، ج٣، ص١٠٢٣.

أربعة نومزمات تساوي ستين دولار بسعر النصف الأول من القرن العشرين.

انظر شعبان خليفة، الكتب والمكتبات، ج٣، ص١٠٢٣.

(206) life of St, Athanesia, P.144.

(٢٠٧) وسام عبد العزيز، أضواء على مجتمع القسطنطينية، ص٩٠، هامش (١).

(208) Baynes, Byzantium, PP.219-220.

ثالثا: التراث الثقافي:

كثير ما ينظر إلى البيزنطيين على أنهم شخصيات صارمة متمسكة بالشكليات كما نقرأ عن مواكبهم الفخمة ومعتقداتهم المتشددة التي لا تلين وطقوسهم الدينية التي لم تتغير، وتقليديهم للأساليب والأنماط الكلاسيكية وتمسكهم في جميع مناحي حياتهم بالقدماء ومع ذلك فقد أظهرت الدراسات الحديثة أن البيزنطيين ربما كانوا عمليين جدا يتسمون بالمرونة، والابتكار، ولديهم القدرة على التكييف والتأقلم(٢٠٩).

والحقيقة أن المجتمع البيزنطي كان مجتمعا متعدد الثقافات والأعراق(٢١٠)، حيث كان وقوع الإمبراطورية عند نهاية الطرف الشرقي للبحر المتوسط في منطقة هللينية بين العالمين الروماني والشرقي سببا في تأثر ثقافة الإمبراطورية بجميع هذه الأصول والتي كان منها التراث اليوناني الذي ظل حيا في الدولة البيزنطية وخاصة في عاصمتها القسطنطينية(٢١١).

التراث اليوناني:

على الرغم من أن الإمبراطورية البيزنطية من حيث الوجود السياسي امتداد للإمبراطورية الرومانية إلا أنها اتخذت طابعا شرقيا هللينيا خالصا، حيث أصبحت اليونانية هي لغة المدينة في التجارة و العلوم والتعليم، في الوقت الذي كانت فيه اللاتينية في طور الاحتضار، وأصبحت قاصرة على الإدارة المركزية والجيش والقانون، وتزامن ذلك مع قلة عدد المتكلمين باليونانية في أوروبا بصفة عامة وروما بصفة خاصة.

بمعنى أن الجزء الغربي من أوروبا اصطبغ بالصبغة اللاتينية البحتة، بينما انطبع الجزء الشرقي بطابع هللينى إغريقي خالص(٢١٢).

نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص١٨٢.

(209) Dennis, A Rhetorician practices law, P.187.
Andrew, Greek East and Latin West, P.209.

(210) Browning, R. The Continuity of Hellenism in the Byzantine world in History language and literacy in the Byzantine world, Northampton, 1989, PP.111-128, P.117.

(211) Francois, ch. Hellenistic Civilization, 2003, P.239.

محمود سعيد عمران، حضارة أوربا في العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م، ص٢٨٨

عفاف صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م، ص٢٥٥.

(212) Browning, The Continuity of Hellenism in the Byzantine world, P.114.

جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية، دار المعارف ط٢، ١٩٦٧م، ص١١٩-ص١٢٠.

وظلوا طوال العصر البيزنطي يحافظون ويتمسكون بتراثهم اليوناني، ولذا كان الإقبال على تعلم اللغة اليونانية والكتابة بها كلغة قومية أمرا ضروريا وحيويا للتعامل مع الكتيبات البيزنطية الغنية بالكتب والمخطوطات اليونانية في شتى فروع العلم حتى كاد البيزنطي أن يطبع لسانه بالطابع الهلليني كجزء من طبيعة الأشياء، فقرءوا ونسخوا الأعمال الأدبية والمراجع الكلاسيكية اليونانية، بالإضافة إلى اعتمادهم على مقتطفات كثيرة من الشعر اليوناني التي تمت الاستعانة بها أيضا في المناهج الدراسية(٢١٣).

ويرى بعض المؤرخين أن الأدب البيزنطي هو مزج للعناصر الباقية (التراث) كالمصطلحات القديمة والمهارات السابقة بالحديثة(٢١٤).

فقد كانت أعمال المؤلفين الكلاسيكيين تقرأ وتدرس سواء كانت شعرا أم نثرا(٢١٥) ولم ينس الكتاب البيزنطيون أبدأ أنهم ورثة ماضي عظيم خلق القوالب الأدبية التي يجب عليهم الالتزام بها بقوة وإخلاص(٢١٦).

وربما كانت أبرز مظاهر النهضة المقدونية المتعددة الجوانب هو جمع دائرة معارف، استمدت مادتها من أدب بلاد اليونان القديمة الذي يتميز بغزارته(٢١٧)، واعتمد كتاب السير البيزنطيين على الأدباء اليونانيين مثل نكيتاس Niketas كاتب سيرة القديسة ثيوكتيستي Theoktiste الذي اعتمد على كل من باسل القيصري Basil of caesarea وجريجوري أسقف نيسا Gregory of Nyssa وكيرليس السكندري Cyril Alexandrian واقتبس كذلك هوميروس(٢١٨).

ولم يكن الاقتباس قاصرا على الأدب فقد اعتمدت التشريعات القانونية والأعمال العسكرية والمؤلفات التاريخية على أعمال السابقين، فقد استند الإمبراطور باسل الأول على قوانين جستنيان في وضع الموسوعة

---

(213) Andrew, Greek East, P.209.
Tread gold, Renaissance, P.75.
Browning, The Continuity Hellenism in the Byzantine world, p.123.
أسد رستم، الروم، ج٢، ص٩٨.

(214) Kazhdan, A. People and Power in Byzantium and introduction to modern Byzantine studies. 3ed Washington, 1995, P.1100.
(٢١٥) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص٢٧٩.

(216) Baynes, Byzantium, P.221.
(٢١٧) ريتشارد. أ. ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م، ص١٨٠.

(218) Life of Theoktiste, p. 97

القانونية الكبرى الباسيليكا[٢١٩] واعتمد ليو السادس في كتابه التكتيكا Taktika على الكتيب العسكري Stragegikon of Maurice[٢٢٠]واقتبس الإمبراطور قسطنطين السابع من مؤلفات السابقين[٢٢١].

ومن النماذج التي احتذى بها المؤرخ القديم بلوتارخ Plutarch الذي أرخ لحياة بعض الأباطرة الرومان وكان يظهر تأثيرا بلوتارخ في اكثر من مناسبة في المفردات وفي استخدام حروف العطف[٢٢٢].

وظهر معجم سويداس Souda عام ١٠٠٠م/٣٩١ كمعجم يوناني هائل[٢٢٣].

كما أن الإمبراطور قسطنطين السابع أرسل خطابات عسكرية لتحريض الجنود على القتال متبعا بذلك إلياذة هوميروس[٢٢٤] واعتمد المؤرخ ليو الشماس على المنهج الذي استخدمه أجاثياس (المؤرخ الذي عاش في القرن السادس الميلادي) في كتابه[٢٢٥].

وهناك بعض الأعمال التي احتوت على العديد من مقتطفات من أعمال السابقين مثل: مكتبة

---

(219) George, History of the Byzantine P.225,
Mousourakis, G. The Historical and institutional context of Roman Law Congress cataloging, 2003, P.407.
Baynes, Byzantium, P.21.
See leo VI, the Taktika of Leo VI.
Leo V1, Homilies, P.10.

(220) Browning, the language of Byzantine literature, in language and literacy in the Byzantine World, Northampton, 1989, PP.103-133.
Cameron, the Byzantine, P.104.

(221) George, History P.223.

(222) Jenkins, R. Constantine, Vll's Portait of Michael III in studies on Byzantine History of 9th and 10th centuries, London, 1970, PP71-77, PP.71-72.

(223) Cameron, The Byzantine, P.149.
عند معجم سويداس انظر Suidad Lexicon trad Bekker, I, Berolini, 1854.

(224) Nesbitt, J.W. Byzantine Authors, P.112.
إلياذة هوميروس، الإلياذة تعني قصة اليوم أو اليوس واليوم أو التيوس هي طروادة تلك المدينة الأسيوية القديمة الواقعة على شاطئ البوسفور، والتي دمرت نتيجة حروب طويلة امتدت قرنا كاملا قبل عام ٩٠٠ ق.م، وقد وضع هوميروس الإلياذة على أسلوب بسيط وبناها على موضوع واحد وهو غضب أخيل بطل أبطال الإغريق في الحرب وهذه القصة تستغرق العام الأخير من الحرب
للمزيد انظر هوميروس الإلياذة– الأوديسة، ت أيمن عادل، القاهرة، دار مشارق، ط٢٠٠٨م، ص٣.
سليمان البستاني، الياذة هوميروس، تقديم جابر عصفور، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤، جـ١، ص٣٢.

(225) Leo the Deacon, History, PP.11-12.

فوتيوس التي تضمنت كتب كان قد قرأها ولم يعد لها وجود[٢٢٦]، والواقع أن هؤلاء الرجال حفظوا لنا الحكمة القديمة[٢٢٧]، وكان الاقتباس والاعتماد على التراث اليوناني في الآداب، والتاريخ، والعلوم التشريعية والعسكرية، أمرا مقبولا وطبيعيا، لكن ما يثير الدهشة هو الاعتماد على الكتابات اللاهوتية اليونانية مع اختلاف المعتقدات الدينية، حيث درست الأفلاطونية الحديثة Neoplatonist ليس فقط في هيئتها المسيحية ولكن أيضا في أعمال أساتذتها الوثنيين[٢٢٨].

وكان من أبرز من اقتحم هذا المجال هو بسللوس الذي اعتنق بعض الأفكار الهللينية وتعامل مع الكتابات اللاهوتية الأمر الذي أثر في مذهبه المسيحي[٢٢٩]، وكان يبرر سلوكه دائما بأن دراسة الفلسفة الإغريقية تفسر الحكمة المسيحية[٢٣٠]، كما كان يؤكد على احترامه للأفكار الهللينية وخاصة في العلم الطبيعي[٢٣١].

وفي أحد الأقسام المتعلقة بكتابه التاريخ Chronographia أشاد بالمعلقين اليونانيين واعترف بمساعدتهم كمرشدين وإدلاء لأعمال أفلاطون وأرسطو[٢٣٢]، ونلاحظ أن أغلب الإشارات في عالم بسللوس،

---

(226) See Photus, The Library

طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص٧-ص٨.

(227) Simos, the Value, of Byzantine, P.6.

(228) Browning, Hellenism in the Byzantine world, P.124.

الأفلاطونية الحديثة: تنسب إلى أفلوطين السكندري الذي جمع المذاهب الخاصة بمختلف المدارس الفلسفية الهللينية التاريخية المعروفة ونسجها في وحدة واحدة.

انظر أرندلو تينوبي، تاريخ الحضارة الهللينية، ترجمة رمزي جرجس، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٣٦م، ص١٣٩، ص١٤١.

الموسوعة الفلسفية العربية، إعداد نخبة من الأساتذة معهد الإنماء العربي، ط ١٩٨٨م، المجلد الثاني، القسم الأول، ص١٥٩.

(229) Ierodiakonou, Byzantine, P.150.

(230) Kaldelis, Hellism, PP.200-201.

(231) Kaldelis, Hellenism, P.197.

(232) Ierodiakonou, Byzantine, P.154.

أفلاطون Plato ٣٤٧- ٤٣٠ ق.م من أهل مدينة أثينا رومي فيلسوف يوناني طبي، عالم بالهيئة بالفلك وطبائع الأعداد.

انظر ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان د.ت طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، المعهد الفرنسي، ١٩٥٥م، ص٢٣.

أرنولد تيونبي، تاريخ الحضارة الهللينية، ص١٣٩-ص١٤١.

أرسطو: ولد عام ٣٨٤ ق.م، في مستعمرة صغيرة في ستاجيروس اليونانية، فيلسوف الروم، وعالمها، وخطيبها وطبيبها.

انظر ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٢٥.

تخص العلماء اليونانيين[٢٣٣].

وقد تضمنت أعماله مقتطفات من أعمال بريكليس التي أصبحت مفقودة[٢٣٤]، وكان جريجوري النازيا نزي Greogory of Nazianzus بالنسبة لبسللوس النموذج المثالي للبلاغة والفلسفة المسيحية[٢٣٥].

ومثلما اعتمد العلم على التراث اليوناني اعتمد الفن أيضا على نظيره اليوناني، حيث ظلت الفنون التي أنجزها اليونانيون موجودة في القصور الملكية[٢٣٦].

إن ما ذكر كان سببا في أن يرى البعض أن قيمة الثقافة البيزنطية لا تكمن في إضافتها للمعرفة البشرية بقدر ما تكمن في أنها حفظت لنا بعض الإنتاج الفكري الإغريقي وأيضا الروماني[٢٣٧].

وأن كل النصوص اليونانية التي تقرأ اليوم تدين ببقائها للنساخ البيزنطيين.

وقد ذهب فريق آخر لأبعد من هذا حيث ذكروا أن أي تأثير للفكر اليوناني والرسائل اليونانية على عصر النهضة الأوروبية يعود الفضل فيه للبيزنطيين[٢٣٨].

ومعنى هذا أن البيزنطيين كانوا مجرد نقلة نسخوا ما وجدوه مكتوبا فحافظوا عليه من الاندثار، ونقل عن طريقهم إلى أوروبا، ولكن الحقيقة أن الثقافة البيزنطية وإن حافظت على التراث اليوناني، إلا أنها لا تخلو من الإبداع الفكري والفني، فكثيرا ما فسروا غوامضه وعلقوا عليه، فهم قد استفادوا من التراث السالف شأنهم شأن أي حضارة ناشئة ولكنهم لم يكتفوا به بدليل ظهور مؤلفات متعلقة بفترات الدولة البيزنطية وفنون

The New Encyclopaedia Britannica Vol I, PP.1162ff.

(233) Kaldelis, Hellenism, PP.200-201.

(234) Browning, Hellenism in the Byzantine world, P.124.

وقد قام أحد تلامذة بسللوس هو يوحنا بكتريتسي John Pctritsi بالتعليق على أجزاء من نظرية بروكلس في اللاهوت Elements Theology في بداية القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري.

Browning, Hellenism, P.124.

(235) Ierodiakonou, Byzantine, P.154.

وقد بلغ من شدة التأثر بالثقافة اليونانية أن يوحنا ماوروبوس توسل للآلهة اليونانية كي يحفظوه من لعنة بروكلس وأفلاطون، وكذلك يوحنا أتالوس تلميذه ميخائيل بسللوس عندما ألقى نفسه من قمة الجبل في البحر أخذ يصرخ ويبكي ويستغيث أنقذني يا بوسيدين Poseidon وهو إله البحر عند الإغريق.

Browning. Hellenism in the Byzantine world, P.123.

(236) Simos, The Value of Byzantine, P.5.

(237) Lemerle, le Government, P.245.

شعبان خليفة، الكتب، ج٣، ص١٠١٢.

(238) Browning, Byzantine Scholarship, PP. 3-4.

وآداب وقوانين ملائمة لروح العصر.

ويمكن القول أن الثقافة البيزنطية لم تكن هي الثقافة الإغريقية الكلاسيكية، ولكنها الثقافة المتشبعة بالفكر اليوناني[٢٣٩].

التراث العربي:

لم يكن التراث اليوناني هو التراث الوحيد الذي اعتمد عليه البيزنطيون، فقد اشتدت الهجمات العربية على الإمبراطورية البيزنطية من عهد باسل الأول، وتمكن العرب من فتح الشام وفلسطين ومصر، لذا وجدت الإمبراطورية البيزنطية نفسها على اتصال دائم مع العالم الإسلامي عسكريا وفكريا[٢٤٠] وخاصة عندما وجه الخلفاء المسلمون كتبا إلى الملوك المعاصرين يدعونهم فيها إلى الدخول في الإسلام مما أدى إلى الجدل بين الطرفين[٢٤١]

وأقبل البيزنطيون على دراسة التراث العربي وبصفة خاصة عند حلول القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري حيث كانت الأمور أكثر استقرارا وأدي تحسن العلاقات مع الغرب إلى دراسة علومهم[٢٤٢]، وإن كانت الاستفادة من التراث العربي ليست بشكل كبير، وذلك لأن العرب في الفترة التي تزامنت مع العصر المقدوني شغلوا بالترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية التي ترجمت فيما بعد إلى اللغة

---

(239) Browning, Hellenism in the Byzantine world, P.112.

وقد تباينت آراء المؤرخين المحدثين في الإمبراطورية البيزنطية من حيث الاستمرارية الثقافية.

المؤرخ الإغريقي قسطنطين بابارهيجوبوليس Constantine Paparrhigopoulos ١٨١٥-١٨٩١م/ رأي في العصر البيزنطي "النهضة الإغريقية".

المؤرخ سكوتش فيلهيني Scottish Philhellene الذي خصص الجزء الأكبر من حياته لدراسة تاريخ دولته قد تعامل مع التاريخ البيزنطي كجزء أو قسم من تاريخ الأمة الإغريقية أو المجتمع الإغريقي أما بالنسبة لـ أوغسطس هيسنبرج August Heisenberg فكانت الإمبراطورية البيزنطية عنده هي الإمبراطورية الرومانية المسيحية للأمة الإغريقية أما كارل ماكس فقد تحدث عن الإمبراطورية البيزنطية كما لو أنها الكوبري الذهبي البيزنطي بين الشرق والغرب.

Browning, Hellenism Byzantine world, P.113.

(240) Genesios, on the Reigns, PP.102ff.

Guilland, Titres, et fonctions de L'empire Byzantine, P.30.

عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٦٥.

(٢٤١) عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٦٥-ص٢٦٦.

(242) Browning, the Byzantine Empire, P.95.

رنسيمان، الحضارة، البيزنطية، ص٢٧٣.

اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين[٢٤٣].

التراث السرياني:

بالإضافة إلى التراث الغربي، فقد تأثر البيزنطيون بالمؤثرات السريانية[٢٤٤]، حيث كان السريان من بين الأقليات التي وجدت في المجتمع البيزنطي، وقاموا بدور بارز ووصلوا إلى أعلى المناصب في العصر البيزنطي، ولكن هذا قد حدث لهم عن طريق تعلمهم للغة اليونانية والثقافة اليونانية والديانة الأرثوذكسية.

ولم يكن هناك أي شك في أنهم مازالوا محتفظين باتصالاتهم وعلاقاتهم القوية بثقافاتهم الأصلية، وربما يكونون قد أحضروا أجزاء منها وخلطوها بالحضارة البيزنطية[٢٤٥]، وقد أطلع عليها البيزنطيون وأفادوا منها وإن لم يكن بصورة كبيرة، لأن السريان أنفسهم كانوا معتمدين على التراث اليوناني الذي كانوا يعلمونه وعلى دراية بلغته ونقلوه إلى اللغة العربية[٢٤٦].

والواضح أن استفادة البيزنطيين من التراث العربي والسرياني كان محدود لانشغالهم جميعا بالتراث اليوناني الذي نقلوه إلى لغاتهم مما يوضح أن الفترة المقدونية ونهضتها تزامنت مع بداية النهضة في العالم العربي.

---

(٢٤٣) عن ذلك انظر، إيمان محمود أحمد سقيو، حركة الترجمة من اللغات الشرقية إلى اللغة اللاتينية وأثرها على الحضارة الأوروبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

الحقيقة أن التأثير البيزنطي علي العرب كان أكبر حيث نقل العرب الكثير من خيرات الروم، وقلد البلاط الأموي في دمشق بلاط القسطنطينية في بذخه وحبه للفنون والآداب، وعندما انتصر المأمون على ثيوفيلس أصر المأمون على تسليم محتويات إحدى مكتبات القسطنطينية فنقلت إلى بغداد فوق مائة بعير ويقال أنه كان من بين ذخائر هذه المكتبة الكبيرة مخطوطات علمية نادرة لبطليموس عن الفلك الذي أمر المأمون بترجمته على الفور إلى العربية تحت عنوان المحبسطي

انظر أمل مختار، بعض مظاهر التأثيرات البيزنطية علي الفنون الإسلامية في الثلاثة قرون الأولى من الهجرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ، ٢٠٠٢م، ص٢٠-ص٢٢.

(244) Kazhdan, People and Power, P.100.

السريان: لفظة السريان أجنبية أطلقها اليونانيون على سكان منطقة الهلال الخصيب (بلاد الشام) وقد كانوا يدعون بالآراميين إلى أن دانوا بالنصرانية فلم يرتضوا تلك التسمية لأن لفظة آرم تذكرهم بعهود الوثنية والوحشية.

انظر سهام الفريح، السريان ودورهم في نقل الثقافة اليونانية إلى العربية، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد الثالث والعشرون، ج٢، ١٩٩٤-١٩٩٥م، ص٤٩-ص٩١، ص٥٠.

(245) Browning, Hellenism in the Byzantine world, P.119.

(٢٤٦) عن ذلك انظر إيمان محمود، حركة الترجمة، ص٢٥.

التراث الأرميني:

أقبل البيزنطيون على التراث الأرميني مثلما أقبلوا على التراث اليوناني، فقد جاء الأرمن إلى القسطنطينية منذ القرن الخامس الميلادي حاملين معهم حضارتهم وثقافتهم التي خلفوها وراءهم في بيزنطة عندما واجهوا موجة من التعصب من قبل رجال الدين اليونانيين الذين طردوا الأرمن وأقليات أخرى غير أرثوذكسية من البلاد(٢٤٧).

وقد بلغ من شدة رغبة البيزنطيين في المعرفة أن أطلعوا على كل المؤلفات التي وجدوها في بيزنطة والتي كان من بينها المؤلفات اليهودية التي تمثل التراث العبري.

التراث العبري:

نظرا لأن العبرية كانت من اللغات القليلة التي تدرس بالقسطنطينية، فقد أطلعوا على الكتب اليهودية، وأعلن البيزنطيون أنهم على الرغم من رفضهم الكثير من الممارسات اليهودية إلا أنهم يقبلوا كتبهم(٢٤٨)، وعلينا ألا نغفل التراث الروماني.

التراث الروماني:

استمدت الإمبراطورية البيزنطية تقاليدها من تراث الإمبراطورية الرومانية، ولكن التأثير الروماني أخذ في التقلص ولم يبق من التراث الروماني إلا القانون الروماني الذي كان عادة ما يدرس في التراجم اليونانية وفي النسخ الكتابية، وكذلك وردت إشارات للتاريخ الروماني في كتابات البيزنطيين مثل يوحنا اكسفلينوس الذي تضمنت كتاباته أمثلة من التاريخ الروماني(٢٤٩). ويعود ذلك إلى سيطرة الثقافة اليونانية علي عقول البيزنطيين وكذلك بسبب الانفصال النهائي بين الكنائس الشرقية والغربية(٢٥٠).

وعلى ذلك فإن الدولة البيزنطية قد تأثرت بالميراث الثقافي المحيط بها، وبصفة خاصة التراث

---

(247) Edward, F. The Heritage of Armenian Literature from the Eighteen Century to modern Times, Wayne state university, 2005, p.16.

(248) Kaldelis, Helleism, P.197.

نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص١٦٦.

(249) Browning, Hellenism in the Byzantine world, PP.114-115.

زبيدة عطا، الدولة البيزنطية من قنسطنطين إلي أنستاسيس، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م، ص٢٣.

مارشال، الحركة البيزنطية، ص٧٢٧.

(250) Browning, Hellenism, P.113-116.

اليوناني، لذا حاول الكتاب التركيز على أن كل منطقة من المناطق المحيطة بالإمبراطورية تركت أثرا مباشرا على الثقافة، لكن الحقيقة التي يجب أن ينتبه إليها الباحثون هي أننا لا نستطيع أن نعطي لأي مؤثر من المؤثرات درجة أعلى من الآخر، فلا المؤثر الشرقي الهلليني ولا الروماني الغربي كان مسئولا وحده عن تكوين الأسس الثقافية في الدولة البيزنطية لأنها كانت عالم ثقافي متكامل، دانت للشرق والغرب والوسط بدرجات متساوية(٢٥١).

ويمكن أن نفسر ذلك بأن الإمبراطورية البيزنطية لم يكن لديها تراث خاص يمكنها الاكتفاء به دون التأثر بالمؤثرات المحيطة بها الأمر الذي جعلها تقتبس من الثقافات المجاورة، وكذلك النزعة الثقافية لدى أباطرة العصر المقدوني ومفكريه الذي جعل عندهم الرغبة في تحقيق ازدهار ثقافي وعلمي كما كان للمرونة التي اتسم بها هذا العصر دورا في جعل القائمين عليه يقبلون التأثر بالمؤثرات الثقافية الأخرى، وهو الأمر الذي جعل هذا العصر يسمى العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية.

وكان من بين العوامل التي خلقت طبقة المثقفين هو أن العلم والثقافة كان من الركائز التي أستند عليها الأباطرة في اختيار ذوي المناصب العليا في الدولة.

رابعا: الرغبة في تقلد المناصب العليا:

كانت الوظائف الحكومية في الدولة البيزنطية حكرا على أبناء الطبقة الارستقراطية ولم يكن هناك سبيل أمام أبناء الطبقة الوسطى من الوصول إلى هذه الوظائف إلا عن طريق العلم(٢٥٢).

وقد أدرك أبناء هذه الطبقة الذين أرادوا الوصول إلى هذه الوظائف أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بتحصيل العلم(٢٥٣).

ولم يكن هذا الأمر مستحدثا في الأسرة المقدونية؛ بل كان الإنسان في العالم البيزنطي طوال العصورالوسطى مثلما كان في العصر القديم لا يستطيع أن يصل إلى المناصب العليا إلا بحصوله على التعليم الذي يؤهله للحصول على المنصب الذي يريده(٢٥٤).

---

(٢٥١) عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٥٥.

(٢٥٢) كتاب الوالي، ص١٤٦- ص١٤٧.

(253) Gadolin, Athority of History and society, P.126.

آمال حامد، ميخائيل بسللوس، ص٤٩.

(٢٥٤) عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٥٥.

مثلما كان الحال في عصر الإمبراطور نقفور الأول Nickephor I ٨٠٢-٨١١م/١٨٦-١٩٦هـ الذي أسند منصب البطريرك إلى نقفور صاحب كتاب التاريخ المختصر Short History وكان هذا الكتاب قد ترك انطباعا لدى نقفور الأول عن سمية العالم والمؤرخ؛ لذا حباه بهذا المنصب المرموق(٢٥٥).

ولم يختلف الأمر كثيرا في عصر الأسرة المقدونية التي كان الكتاب بها فئة خاصة ضمن الطبقة الأرستقراطية الذين كانوا من كبار رجال الدولة، ورجال الدين ففي القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري تم ترسيم ليو الشماس صاحب كتاب التاريخ أسقفا، ثم أصبح من رجال البلاط الملكي(٢٥٦).

وسار الأمر على هذا النحو في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، فقد تولى يوحنا سكلتزيس صاحب كتاب مجمل التاريخ، منصبا مهما في القضاء(٢٥٧)، حيث كان يتم إعداد من يعملون بالوظائف القضائية في مدرسة مهنية ينظمها أعضاء كلية القانون ويعين مدرسوها بالانتخاب من قبل الأعضاء الذين انتخبوا من قبل تحت إشراف الحاكم(٢٥٨)، كما كان التعليم شرطا لمن أراد أن يكون موثقا

---

(٢٥٥) انظر البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ت هانئ البشير القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٧م، ص١٧.

الإمبراطور نقفور الأول: تولى العرش عام ٨٠٢م/١٨٦هـ، عزل أيرين عن الحكم وأسقط الأسرة الأيسورية وقتل في معركة مع البلغاريين عام ٨١١م/١٩٦هـ.

Rosser, Historical dictionary, PP.294-295.

البطريرك نقفور: ولد في مدينة القسطنطينية قبل عام ٧٥٠م أو عام ٧٥٨م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس Constantine V ٧٤١-٧٧٥م، وكان من مؤيدي عبادة الايقونات وقد شغل منصب بطريرك القسطنطينية ٨٠٦-٨١٥م بعد وفاة Tarasios، ونال احترام العالم الديني والمدني وكان مؤرخا غطى تاريخه الفترة من ٦٠٢-٧٦٩م، واعتمد في كتابته على قصة ثيوفيلاكت Theophylcat الذي كتب في القرن السابع الميلادي

انظر نقفور، التاريخ المختصر، ص٢، ص٣.

Michael and mary, The history of Theophylact simocatta, oxford, 1986, P, XIII.

(256) Leo the Deacon, History, P.10.

(257) Skylitza, Asynopsis, P.9

يوحنا سكلتز: ولد قبل عام ١٠٥٠م/٤٤٢هـ كان يشغل منصب قربلاط أي عميد القصر Curopalata ترك لنا كتاب أطلق عليه مجمل التواريخ، يغطي الفترة من ٨١١-١٠٥٧م/١٩٦-٤٤٩هـ.

للمزيد انظر:

Skylitzes, Excerpta breviario Historical

Skylitzes, Empereurs de Constantinople والترجمة الفرنسية

Edwin, A History of Classical Scholarship, P.404.

Rosser, Historical dictionary, P.363.

(258) Lemerle, Le Gouvernement, P.197.

وكان ينبغي عليه أن يكون متفوقا في الكتابة، وعلى دراية بموضوعات مجمل القانون وأن يكون قد حفظ أيضا الستين كتابا التي تتألف منها الباسيليكا وأن يكون قد حصل على قدر من التعليم مما يجعله لا يخطئ في صياغة وثائقه[٢٥٩].

وعلى هذا النحو نجد أن أباطرة البيت المقدوني بنو رأيهم في اختيار موظفيهم على أساس ما حصلوا عليه من علم وظهر ذلك جليا في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع، فقد حصل المثقفون في عهده على وظائف عليا في الإمبراطورية.

كذلك تولى قسطنطين ليخوديس Constantine Lichudes منصب الوزير الأول بالإمبراطورية البيزنطية زمن الإمبراطور قسطنطين التاسع، ثم أصبح رئيسا للوزراء[٢٦٠] وأصبح بطريرك للمرة الثانية عام ١٠٥٩م/٤٥١هـ، وتوفى بالقسطنطينية عام ١٠٦٣م/٤٥٦هـ[٢٦١].

كما تمكن بسللوس عن طريق عمله من الوصول إلى أعلى المناصب بالبلاط البيزنطي، وظهر دوره واضحا خاصة في توجيه أمور الدولة البيزنطية الذي وصل إلى حد التدخل في اختيار الأباطرة أو إقصاء بعضهم، وتدبير المؤامرة ضد البعض الآخر، لدرجة أنه استحق أن يطلق عليه اسم صانع الأباطرة[٢٦٢].

وقد كان زميلا لبسللوس في الدراسة يوحنا اكسفلينوس John Xiphilinus الذي كان ملما بالقانون وكذلك بالمنطق وخاصة منطق أرسطو، وذلك يتضح في رسائل بسللوس المرسلة إليه وخطبه الجنائزية عليه[٢٦٣]، وكان هذا من الأسباب التي جعلت الإمبراطور قسطنطين التاسع يختاره عميد لكلية القانون، كما

---

(٢٥٩) كتاب الوالي، ص١٤٦-ص١٤٧.

(٢٦٠) لطفي عبد الوهاب، يحي، مصدران بيزنطيان عن تاريخ بلاد الشام في العهد العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام/ ٧-١١ شعبان ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص١-ص٢٢، ص١٦.

(261) Psellus, Chronographia, PP.248-249.
Lemerle, Le Gouvernment, P.203.
Cavallo, The Byzantines, London, 1992, p.189..

(262) Lemerle, Gouvernment, P.203.

آمال حامد، ميخائيل بسللوس، ص د.

(263) Lemerle, Le Gouvernment, P.203.

عن رسالة بسللوس عن حنا اكسفلينوس، انظر

Psello, m. Epistola AGiovanni Xifilino

كانت له مهام أخرى وهي كونه شاهدا على الصكوك والوثائق، كما كان أمينا للسجل[٢٦٤].

وعلى الرغم من المكانة التي وصل إليها اكسفلينوس إلا أنه انخرط في سلك الرهبنة، ودخل الدير في بثنيا Bitinia عام ١٠٥٥م/٤٤٧هـ، وكان لهذا أثره على الإمبراطور قسطنطين التاسع لأنه فقد أحد الرجال المثقفين الذين اعتمد عليهم في شئون الدولة من جهة وفي إدارة الجامعة من جهة أخرى[٢٦٥].

وهكذا نجد أن أبناء الطبقة الوسطى تمكنوا من الوصول إلى المناصب العليا عن طريق العلم والثقافة، وهي النظرية التي وضحها بسللوس في قصيدة تغني فيها لبطريرك، لم يذكر اسمه هذه المرة، وألقاها أمام مستمعين يبدوا أنهم زملاء دراسة للمتوفي (البطريرك)، الذي كان محبا للعلم، وألف بعض المقالات (خطب) التي كان يقرأها بسللوس بإعجاب وذكر بسللوس أنه درس اللغة اللاتينية والقانون، ولم يعلق على دراسة البطريرك للفلسفة ونتيجة لنجاحه في دراساته وصل إلى مكانة مرموقة في القصر.

ويشير بسللوس إلى أنه كان ينتظر أن تؤدي كفاءة البطريرك خاصة القانونية إلى منحه مهام في الدولة ولكنه توفى مبكرا[٢٦٦].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الجيل، بل كان العلم من أسباب تولي المناصب العليا في الدولة حتى في الأجيال التالية على سبيل المثال ميخائيل أتالياتس تلميذ بسللوس، الذي أشار انه أتى من مكان ريفي، وتربى وتعلم بجامعة القسطنطينية حيث درس القانون، وعمل بالمحاماة الأمر الذي أهله لأن يكون القاضي الكبير وحصل على مرتب وأملاك ومنزلة حكومية أعلى من أنثيباتوس Anthypatos وباتريكوس Patrikos اللذين أهلتهما أملاكهما لتناول العشاء في المنضدة العليا في المآدب الإمبراطورية.

كما أصبح عضوا في مجلس الشيوخ[٢٦٧]، وسجل بين نخبة أعضاء مجلس الشيوخ، وبين القضاة المدنيين الأكثر شهرة، وكان أتالياتس ينتمي للطبقة الارستقراطية العسكرية المناهضة لطبقة الارستقراطية المدنية التي يمثلها بسللوس، وعلى الرغم من أنه كان لدى عائلته الوسائل والاتصالات لتعليمه في

---

(264) Basil, I. The Procheiros, Nomos, P.3.
Psellus, Chronographia, P.254, n..I

(265) Psello, Epistola, P.16
Baynes, Byzantium, P.203.

آمال حامد، ميخائيل بسللوس، ص٨٩-ص٩٠.

(266) Lemerle, Le Gouvernment, P.200.

(267) Attaleiates Rule of Michael Attaleiates, P.326
Haldon, J.A The Social History of Byzantium Wiley Black well, 2009, P.216.

القسطنطينية، بالإضافة إلى تزويده بميراث قسم بينه وبين أخوته[٢٦٨]، إلا أن وصوله للمناصب العليا لم يكن بسبب ثروته أو ميراثه، ولكن بسبب علمه.

وبذلك فقد رسخت في أذهان البيزنطيين في العصر المقدوني فكرة أن العلم هو السبيل الوحيد أمام أبناء الطبقات المتوسطة والدنيا للوصول إلى المناصب العليا في الحكومة والكنسية على السواء الأمر الذي أدى إلى اهتمامهم بتعليم وتثقيف أنفسهم وأبنائهم كي يحققوا أهدافهم.

خامساً: الاهتمام بالشئون الخارجية:

قد شهد العصر المقدوني العديد من الانتصارات العسكرية المميزة على المسلمين والبلغار وغيرهم من الشعوب المجاورة[٢٦٩].

وكانت هذه الانتصارات سببا في تكدس الأموال في الخزانة الإمبراطورية بسبب ما حصلوا عليه من أسلاب وغنائم، فقد كان انتصار الإمبراطور نقفر فقواس على المسلمين في جزيرة كريت سببا في الحصول على كمية كبيرة من الذهب والفضة والأقمشة وغيرها من الكنوز التي استولى عليها البيزنطيون من المسلمين مما أدي إلي الازدهار الأقتصادي الذي ترتب عليه زيادة الإقبال على الناحية الثقافية[٢٧٠].

كما كان للسياسة الخارجية دورا آخر في الازدهار الثقافي إذا كانت موضوعاتها مادة خصبة للتأليف والإطلاع، فقد وضعت العديد من المؤلفات لخدمة النواحي الخارجية سواء عن طريق إعداد مؤلفات تتناول قواعد الدبلوماسية وكيفية التعامل مع الشعوب المجاورة مثل كتاب الإمبراطورة قسطنطين السابع المسمى الإدارة الإمبراطورية[٢٧١].

---

(268) Haldon, The social history of Byzantine PP.216-217.

آمال حامد، ميخائيل بسللوس، ص٢٠٢.

(269) Tougher, The Reign of Leo V1, P.23.

(270) Leo the Deacon, History, P.81.

تم الاستيلاء البيزنطي على كريت عام ٩٦٠م/٣٤٩هـ بقيادة نقفور فوقاس وساعده على ذلك ما تمتع به من مقدرة عسكرية وما آلت إليه الدولة الإسلامية من ضعف وانقسامات.

للمزيد انظر:

Theophans, continuatus, PP.468-69.
Symeon magistri, Annales, PP.758-760.

أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية. جده، دار المجمع العلمي، ١٩٧٧م، ص٢٣٧ وما بعدها.

(٢٧١) انظر قسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٥.

الذي يعتبر عمل رائع في فن السياسة ومقال خطير في قواعد الدبلوماسية ويدل على مدى التطور الذي وصلت إليه الإمبراطورية[٢٧٢].

أو المؤلفات التي تحفز الجنود على المعارك وتثير حماستهم مثل رسائل الإمبراطور قسطنطين السابع التي أرسلها لتحفيز الجنود على القتال في الجيوش الشرقية[٢٧٣].

واشتمل كتاب De Velitation الذي كتبه مؤلف مجهول في عهد نقفور فوقاس على تفاصيل عن كيفية الرد على هجمات القبائل العربية باستخدام أساليب العصابات[٢٧٤].

وهناك بعض المؤلفات التي تحدثت عن المعارك الحربية مثل كتاب يوحنا كامينياتس John Cameniate المسمى "احتلال سالونيك" The essalonci De Excidio الذي انفرد فيه مؤلفه بسرد التفاصيل الدقيقة للغارة التي قام بها أهل كريت وإخوانهم المسلمون من مصر والشام على هذه المدينة انتقاما للهزائم التي لحقت بهم أمام البحرية البيزنطية عام ٩٠٤م/٢٩٢هـ[٢٧٥].

ومثل كتاب ليو الشماس الذي كان شاهدا عيانا على أحداث الحرب البلغارية، وسرد هذه الأحداث في كتابه التاريخ[٢٧٦].

---

(272) Andrew, Greek East and Latin west P.209.

رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص١١٢.

للمزيد عن هذا الكتاب، انظر الفصل الثاني.

(273) See Constantine V11, Three treatises on Imperial Military.
Nesbitt, Byzantine, P.112.

(274) Rosser, Historical dictionary, P.116.

(275) Genesios, on the Reigns, PP.102ff.
Baynes, Byzantium, P.237.
Vasiliev, History, vol I, PP.363-364.

أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٠-ص١٢.

أحمد عبد الكريم سليمان، العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية في شرق البحر المتوسط في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤، ص٥.

يوحنا كامينياتس: أحد قساوسة سالونيك وكان شاهد عيان على الفتح العربي بسالونيك.
Rosser, Historical dictionary, P.227.

نيكول، معجم التراجم، ص٢٥٠-ص٢٥١.

(276) see Leo the Deacon, The History.
Vasiliev, History, Vol I, P.364.

وقد وجدت مؤلفات وجهت النقد لبعض الأباطرة على سياستهم الخارجية مع بعض الشعوب مثل كتاب ستراتيجيكون Strategicon للمؤلف كيكومنيوس Cecaumenos الذي عاش في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ووجه فيه النقد للإمبراطور قنسطنطين التاسع لإرهاقه للإمبراطورية البيزنطية بدفع ضريبة ثقيلة للأعداء على الحدود بدلا من مقاومتهم(٢٧٧).

ولسيطرة أباطرة أقوياء على العرش البيزنطي في العصر المقدوني مثل باسل الأول، ونقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس، وباسل الثاني الذين توافرت لهم من المقدرة العسكرية ما جعلهم يتمكنون من تحقيق الانتصارات العسكرية، فتوسعت حدود الإمبراطورية مرة أخرى، واسترد البيزنطيون كريت عام ٩٦١م/٣٥٠هـ من المسلمين، بل وخضعت لهم مدن دمشق وصيدا وبيروت واستولوا على مناطق من بلاد البلغار ومنها العاصمة نفسها. وفي بداية القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري أصبح للبيزنطيين السيطرة على شبه جزيرة البلقان، وامتدت حدود تلك الدولة من الشام إلى الدانوب، ومن أرمينيا إلى جنوب إيطاليا ودانت الأمم والشعوب المجاورة بالولاء لهم(٢٧٨).

وكان نتيجة لهذه الانتصارات أن نظمت الأشعار التي تشيرإلى الانتصارات وكانت الخطب والأشعار مستندة على نشرات النصر الرسمية وسجلات تفاصيل المعارك(٢٧٩).

ونظمت الملاحم التي تجسد مواقف البطولة وتروي قصص الأبطال الذين استبسلوا في القتال والتي

واجهت بيزنطة منذ عهد ليو السادس أشد الأخطار الخارجية التي تمثلت في الخطر البلغاري الذي استمر منذ عهد ليو السادس حتى عهد باسل الثاني الذي تمكن من هزيمتهم في معركة خلقدونية Kleidion ١٠١٤م/٤٠٥هـ وأسر منهم أربعة عشرة ألف أسير وأصابهم بالعمي وترك علي رأس كل مائة اسير أعمى أسيرمبصر كي يقودهم إلى وطنهم ويقال إن صمويل ملك البلغار أصيب بصدمة عندما رأى جنوده وعلى هذه الحالة ومات بعد بضعة أيام من عودتهم، وحاولت بيزنطة إدخال البلغار تحت السيطرة البيزنطية.

Leo the Deacon, History, P.10.

قسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٢٠.

Rossos, A. Macedonian and Greek, shutters stock, manufactured, U.S.A 2008, PP.58-59.

(277) Baynes, Byzantium, 238.

طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص٢٧.

(278) Genesios on the Reigns, PP.101-102.

Markopoulos, Byzantine History Writing at the end of the first millennium, Ledien, 2003, P 190.

شعبان عبد العزيز، الكتب والمكتبات، ج٢، ص٩٠٢.

(279) Stephenson, Byzantium's Balkon, P.53.

منها: ملحمة ديجنيس اكريتاس بطل الثغور، وتصور الكثير من الأحداث التي جرت على الحدود الإسلامية البيزنطية التي اشترك فيها بطل الملحمة[٢٨٠].

ويمكن القول أن حركة الإحياء الثقافي بدأت عندما ازدادت قوة الأسرة المقدونية[٢٨١].

وتستخلص مما سبق أن الأسرة المقدونية كان لها العديد من الإنجازات الحضارية الأمر الذي جعل المؤرخين يعتبرون عصرها هو العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية، فقد ازدهرت بها الحياة الثقافية، ونتيجة لتوافر العديد من العوامل التي ساهم فيها أباطرة الأسرة المقدونية بطريق مباشر أو غير مباشر.

فتمكنهم من تحقيق الاستقرار الداخلي أدى إلى انصراف الشعب إلى العلم والثقافة، وخاصة عندما وجدوا الدعم المادي والمعنوي من الأباطرة وكان العلم والثقافة هما الوسيلة الوحيدة لوصولهم إلى المناصب العليا في الدولة، كما أن الاهتمام بالسياسة الخارجية كان من العوامل التي أدت إلى الازدهار الثقافي بشكل غير مباشر.

(٢٨٠) أمل مختار الشهاوي، بعض مظاهر التأثيرات البيزنطية على الفنون الإسلامية، ص٢٢.
للمزيد عن الملحمة انظر الفصل الرابع.

(281) Treadgold, Renaissance, P.75.

رسم توضيحي لعوامل ازدهار الحياة الثقافية

ازدهار الحياة الثقافية

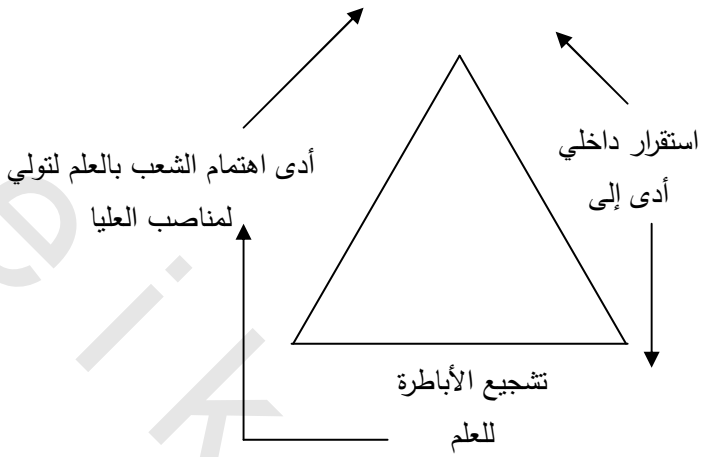

أما العامل المتمثل في الاهتمام بالشئون الخارجية أدى إلى تأليف مؤلفات تتناول السياسة الخارجية.

مؤلفات عن السياسة الخارجية

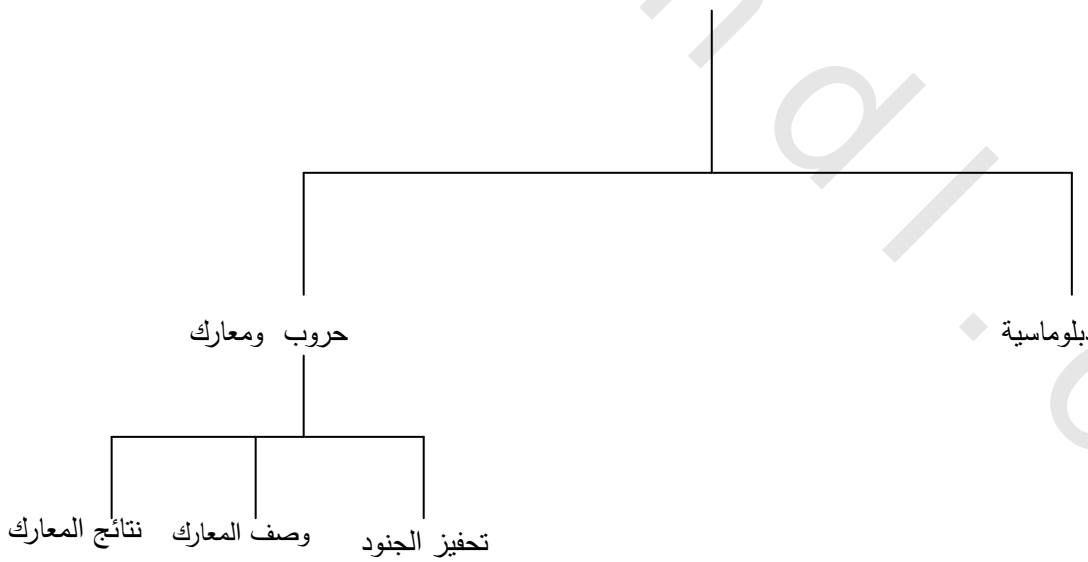

obeikandi.com